

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية.

قسم الفلسفة.

إشكالية المنهج العلمي في فكر ابن باديس والنورسي:

بين النظرية والتطبيق.

- دراسة موازنة -

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إشراف الأستاذ:

الدكتور الأخضر شريط

إعداد الطالبة:

بن سعدي حورية

لجنة المناقشة

رئيسا

مقررا

عضوا

مقرر

أستاذ التعليم العالي

أستاذ التعليم العالي

أستاذ محاضر

أستاذ محاضر

أ.د عبد الرزاق قسوم

أ.د الأخضر شريط

د علي بودريالة

د رضا شريف

السنة الجامعية: 2016/2015

شكر وعرّفان

أشكر الله تبارك وتعالى أن منّ عليّ بإتّمام هذه الرسالة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الأخضر شريط الذي حملني كرمه وفضله بالإشراف

عليّ وتوجيهي نحو الأفضل دائماً.

كما أشكر الأساتذة الكرام الذين أفادوني إفادة عظيمة عن فكر الإمامين: د.عمار جيدل-

د.عشراتي سليمان-د.إحسان قاسم الصالحي-د.فرهاد-د.حسن المفتي-د.محمد عزيزعدمان.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة بحثي وسهروا على متابعته وتصحيحه

حتى أجبر الخلل والنقص الذي سها عنه قلّمي.

إلى هؤلاء جميعاً أرفع أيادي الامتّان والعرّفان.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى العلامتين "ابن باديس" و "النورسي" رحمهما الله، ومن بقي من تلاميذهما ثابتين على العهد، وكل من عمل على تبليغ الرسالة خطة ومنهاجنا ومضموننا. إلى كل من شدّ بيدي في استكمال بحثي - عجوط محمد - خالد قدور حسين-علي.

إلى والدي الكريمين أطال الله عمرهما.

إلى زوجي محمد وأبنائي: سالم-منير-رنيم-تسنيم-تسبيح.

إلى جميع أفراد عائلتي.

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة عملي.

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيد الأولين
والآخرين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يعتبر العلماء ورثة الأنبياء فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:
"إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ
به أخذ بحظ وافر"¹ لهذا يعد عمل العلماء الرساليين امتدادا لعمل الأنبياء، ينسجون
على نسقهم في اجتناب أممهم من دركات الفساد.

وللقيام بتلك الوظيفة لا بد من استصحاب المعطى الثقافي والحضاري الذي تتحرك
فيه دعوتهم فاعلة ومتفاعلة، ولعل أصدق نموذج معبر عن استحضر تلك المعطيات،
العمل الجبار الذي أنجزه الإمام ابن باديس في الجزائر والإمام النورسي في تركيا، إذ
تجسدت في جهودهما وراثة الأنبياء في العلم والعمل.

ولما كان كل من يكتب حول المفكرين يخوض في فكرهما الإصلاحى المتفرد من
دون الحديث عن المنهج المتبع، حاولت تسليط الضوء على المنهج العلمي في فكرهما
بين النظرية والتطبيق، كون الدراسة في المنهج لم يطرقها أحد على حسب علمي، ولأن
طبيعة البحث تتلاءم مع متغيرات العصر، فأوضاع العالم الاسلامي والضغوطات التي
يواجهها خارجيا وداخليا تستدعي تظافر الجهود من أجل الخروج بحل من الأزمة،
وكان اختيارنا للبحث في المنهج العلمي مبررا بالأسباب الآتية:

¹ اخرجه الترمذي في سننه كتاب العلم.

المقدمة

- يلائم تطورات العصر وما يواجهه العالم الإسلامي من مؤثرات خارجية.

- يتلاءم مع أفكار المسلم وحياته العملية، ويعالج أهم خطر يهدد الأمة الإسلامية (الفراغ الروحي)، ولأن شباب الأمة بحاجة إلى تجديد الإيمان واليقظة الروحية.

يتبادر إلى الذهن في هذا المقام التساؤل التالي: إذا كان ابن باديس والنورسي قد أحدثا تغييرا في البنى التحتية للمجتمع بمنهج علمي دقيق، فأيهما كان نظريًا وأيهما كان تطبيقيا؟ وإلى أي مدى تجسدت نظريتهما في التغيير واقعيًا؟

سيعالج بحثنا قضية المنهج العلمي في إطار الفكر الباديسي والنوري منهاجا وتطبيقا، ومعالجة هذه المسألة تقتضي تقسيم البحث على النحو التالي:

أولا المنهج العلمي: المفهوم والخصائص في الفصل الأول، أما الفصل الثاني ف جاء موسوما بالمنهج العلمي عند ابن باديس، والفصل الثالث الذي جاء معنونا بالمنهج العلمي عند النورسي، وأخيرا الفصل الرابع الموسوم بالموازنة بين المنهجين.

فبخصوص الفصل الأول لقد أبرزنا المفهومين: أي مفهوم المنهج ومفهوم المنهج العلمي، ثم عزّجنا على الفكرتين عن الإمامين: ابن باديس والنورسي، ثم أوضحنا جذور فكرة المنهج بداية بظهورها عند الأفغاني ثم محمد عبده ثم رشيد رضا.

أما الفصل الثاني الذي جاء موسوما بالمنهج العلمي عند ابن باديس فقد حاولنا من خلاله التعرف على المنهج الباديسي في جانبه النظري من خلال خصائصه

المقدمة

وأصوله وأبعاده ثم في جانبه التطبيقي من خلال أساليبه ووسائله ، بعد ذلك الإنجازات المحققة وكيفية الاستفادة منها في الواقع المعاصر .

والفصل الثالث الذي خصصناه للنورسي فقد قمنا بنفس الخطوات، حدّدنا المنهج النوري في جانبه النظري (الخصائص والأصول والأبعاد) ثم جانبه التطبيقي (الأساليب والوسائل) ثم الإنجازات المحققة مع إمكانية الاستفادة منها في الواقع المعاصر .

والفصل الأخير الموسوم بالموازنة بين المنهجين فعرّجنا على أوجه التشابه من حيث الشّكل والمضمون ثم التّفاعل بين المنهجين وصولاً إلى القيمة المضافة وأثرها على العالمين (العربي والغربي).

والخاتمة التي ضمّنتها أهم النتائج المتوصّل إليها .

جعلت عمّدي في البحث عن العلامتين ابن باديس والنورسي مؤلفاتهما أولاً ثم ما كُتب عنهما ثانياً ثم المعاجم والموسوعات، كما تشرفّت بأخذ درر البحث من معينها الصافي مثل الأستاذ الدكتور "عمار الطالبى" و الأستاذ الدكتور "عبد الرزاق قسوم" والأستاذ "إحسان قاسم الصالحي" والد "سليمان عشراى" إلى جانب ثلّة مباركة من الأساتذة الأفاضل من دول مختلفة، هذا ولا أنسى أبداً فضل أستاذي وموجهي الأستاذ الدكتور "الأخضر شريط" حفظهم الله ونفع الأمة بعلمهم .

لقد كان المنهج المتّبع في بحثي مركّباً يجمع بين المنهج التاريخي والاستقرائي والتحليلي والمقارن، من أجل الوصول إلى العلاقة التكاملية بينهما .

المقدمة

ولأنني اخترت الموازنة بين علمين يعدّ الواحد منهما بحرا عميقا يحتاج الغوص فيه إلى سباح ماهر، فكيف إذا تعلق الأمر بهما معاً؟ وإنه لأمر جلل، فالمنهج العلمي عند الإمامين غير مصرّح به بل يجب استنتاجه بالدراسة والتحليل، والأمر الثاني هو ندرة المصادر والمراجع التي تتحدّث عن المنهج عندهما، إضافة إلى أن منهجهما لا يمكن معرفته من خلال مرحلة زمنيّة معيّنة، بل لا بدّ من تعقّب كلّ مراحل حياتهما ودراستها، وتخوّفت كثيرا من إدراج مواضيع لا علاقة لها بالبحث طلبا للموضوعية والتّجديد.

اجتهدت في هذا البحث خدمة لأولئك الذين خدموا أمتهم ولم يطلبوا المقابل في زمن قلّ فيه الوفاء للقيم، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الفصل الأوّل:

المنهج العلمي

المفهوم والخصائص

الفصل الأول: المنهج العلمي: المفهوم والخصائص.

المبحث الأول: مفهوم المنهج العلمي

المطلب الأول: مفهوم المنهج

المطلب الثاني: مفهوم المنهج العلمي

المطلب الثالث: مفهوم المنهج عند ابن باديس والنوري

المبحث الثاني: جذور فكرة المنهج بين ابن باديس والنورسي

المطلب الأول: فكرة المنهج عند الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا

المطلب الثاني: أثر هذه الروافد على المنهج الباديسي والنوري

المبحث الأول: مفهوم المنهج العلمي.

المطلب الأول: مفهوم المنهج:

الفرع الأول: المعنى اللغوي

إذا رجعنا إلى قواميس اللّغة نجد أن معنى المنهج لغة هو الطّريقة، وكذلك يقال المنهاج. ويقصد به أيضا الوضوح والتّبيين، فنهج الطريق وضح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا.

وقد جاء في لسان العرب¹ لـ " ابن منظور إنّ كلمة " منهج " من نهج بمعنى الطريق البيّن الواضح والجمع " نهجات " و " نهج " و " نهوج " ويقال " فلان استنهج طريق فلان، أي سلك مسلكه.

وقد جاء في مختار الصّاح " :النّهج بوزن الفلس والمنهج بوزن المذهب، والمنهاج الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه، ونهجه أي سلكه.² " وفي اللغة الفرنسية فقد اشتقت كلمة منهج " method " التي تعني التّتبّع والتّقصي، وأصلها في اليونانية المركبة من قسمين :ميثا- meta " "

¹ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط1 ج1 ص315

² مختار الصّاح: الرازي محمد ابن ابي بكر بن عبد القادر: تحقيق محمود خاطر مكتبة لبنان، طبعة جديدة 1415/ص688

"veers ونعني " نحو " أو " باتجاه " و " الدوس " odosechemin " بمعنى

الطريق أو المسلك"¹

أمّا في القرآن الكريم فقد وردت كلمة منهج في العديد من الآيات ومن ذلك

قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا ﴾² بمعنى واسعاً في الدين

ويأتي " المنهاج بمعنى الخطّة المرسومة"³.

• الفرع الثاني: المعنى الإصطلاحي.

من الناحية الإصطلاحية كلمة منهج لها عدّة معاني:

فالمعنى المجرد للمنهج يعني تلك الميزة للنشاط الذي يسير وفق مخطط فكري

محدّدة قواعده ومعالمه مسبقاً، وكلمة المنهج بالتعريف تعني اتباع نظام محدّد في

توجيه العمليّات العقليّة نحو تفكير منطقيّ سليم، أمّا بالمعنى العلمي فهو مجموعة

الخطوات العقليّة الساعية لإثبات صحة البرهنة على الحقيقة.

Paul faulque avec la collaboration de raimoud sairit dictionnaire de la langue
philosophique presse universitaire de france paris 1962 p141¹

² سورة المائدة: الآية 48

³ المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، ط2 القاهرة ص265

وهو تلك الخطوات التي تقود العقل إلى فكرة محدّدة وقد ورد في موسوعة لا لاند أن " المنهج هو مجموعة الجهود المبذولة لبلوغ غاية بحث ودراسة ".¹ ويتّضح من هذا أنّ هناك معنا مجردًا للمنهج ومعنا خاصًا ومعنا عامًا.

• **المعنى العام:** هو الطّريق الذي نصل من خلاله إلى نتيجة معيّنة، حتّى إن

كان هذا الطّريق لم تحدّد معالمه مسبقًا.

فالفكر يسير في حركة منتظمة، متّبعًا ترتيبًا معيّنًا بغاية الوصول إلى نتائج محدّدة، والمهم في هذا السياق هو ذلك السّير المنطقي في بلوغ الحقيقة بمختلف أنواعها وتعدّد مجالاتها.

"ومن هنا يتّضح أن المنهج هو ذلك البرنامج الذي ينظم مسبقًا سلسلة عمليات ينبغي إكمالها، وتدلّ على بعض الأخطاء الواجب تجنّبها."²

فالمنهج بمعناه العام هو مجموعة القواعد المنتظمة لعملية التفكير التي نسعى من خلالها التّوصل إلى نتائج يمكن اعتبارها عقلية منطقية، فهو أسلوب أو طريقة لأيّ عمل علمي يتّسم بطابعه المنطقي والمنتظم في قواعد، تسير عملية البحث عن الحقيقة بغاية الوصول إلى حقيقة موضوعية في شتى مجالاتها.

¹ آندري لا لاند: الموسوعة الفلسفية: ترجمة خليل أحمد خليل، م2 منشورات عويدات بيروت لبنان ط2 2001 ص803

² آندري لا لاند: المرجع نفسه، ص804

علما أنّ كلّ مجال له تقنيّاته الخاصّة به، فالبحث في المجال الطّبيعيّ مثلا لا يعتمد على التقنيّات نفسها المعتمدة في البحث الفلسفي، إلاّ أنّ نقطة الالتقاء تكمن في أنّ كلاهما يستخدم قواعد منظّمة ومتّسقة فيما بينها لإنتاج المعرفة.

إذاً فكل بحث علمي منظم يسعى لبلوغ الحقيقة الموضوعيّة يجب أن يعتمد منهاجا يحدّد من خلاله مسيرة عمله.

أي أنّ المنهج هو الخطّة أو التخطيط لإعداد شيء ما أساسه التفكير سواء كان هذا التفكير ماديا أو معنويّا، لذا يمكننا القول إنّ علم التفكير أو طريقة كسب المعرفة " فهو الإجراء أو الرؤية الذهنية والفكرية. التي تنزل على الواقع قصد تعديله أو تأسيسه على قواعد جديدة في ضوء أهداف وغايات متوخاة.¹"

• **المعنى الخاص:** يتحدّد المنهج حسب طبيعة الموضوع. " فالمنهج ليس خطّة جاهزة، ولا طريقة صلبة، بل هو منهج طيع يلين لكل عالم يقصد فهم موضوعه فهما موضوعيّا، وذلك حسب طبيعة الموضوع، وهذا من شأنه أن يزيد من توسع قدرته على استيعاب أكبر مقدار من العلوم المختلفة².

والاعتقاد مثلا أنّ المنهج التجريبي المعمول به في الفيزياء والعلوم الطّبيعيّة هو النموذج المثالي والأوحد الذي يجب أن يحتذي به كلّ علم هو اعتقاد خاطئ، لأنّ

¹ عشراتي سليمان: المعنى القرآني في رسائل النور ط1 دار سوزلر للنشر، القاهرة، مصر 2009 ص57

² نجيب الحصادي: نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1 1994 ص50

هذا المنهج الذي ينطلق من ملاحظة وينتهي بالقوانين، ليس منهجا كفيلا يفرض نفسه على كل معرفة تطمح في الانضمام إلى مصاف العلوم الموضوعية.

فطبيعة الموضوع المدروس هي التي تحدّد طبيعة المنهج وتنظيمه فهو إن كان واحدا من حيث المبدأ النظري، فهو متنوع بالنظر إلى الميدان العملي وقابل للنمو والنضج.

فالمنهج الإصلاحيّ مثلا يتحدّد حسب طبيعة الموضوع الإصلاحيّ من حيث أهدافه وغاياته، ولهذا كان المنهج في الإصلاح أقرب إلى الدين والتفسير والقرآن الكريم وهذا ما سنراه لا حقا مع المنهج الإصلاحيّ عند العلامة " عبد الحميد بن باديس " وعند المفكر " بديع الزمان سعيد النورسي. "

لقوله تعالى: ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيره أنا ومن اتبعني ¹﴾

ويعرّف ديكارت "descarts" المنهج بأنّه " مجموعة من القواعد المؤكّدة والسهلة التي تمنع مراجعتها الدقيقة المرء من أن يفترض صدق ما هو كاذب وتجعل العقل يصل إلى المعرفة الحقّة من دون أن يبذل مجهودات غير نافعة. ²

فهو يرى أنّ الدراسات بلا منهج محاولة فاشلة لا فائدة منها.

¹ سورة يوسف: الآية 108

² رني ديكارت: مقالة عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضير، تقديم محمد مصطفى حلمي، 1985 ص 65

المطلب الثاني: مفهوم المنهج العلمي

الفرع الأول: المعنى اللغوي

إذا كانت كلمة منهج ترجمة للكلمة الفرنسية " method " أي المسلك أو الطريق الواضح البين، في حين المصطلح " العلمي " منسوب إلى العلم بمعنى الدراسة والمعرفة والإدراك، فالمنهج العلمي هو الطريقة التي يتبناها العالم في قضاياها ومسائله محل الدراسة بغية الوصول إلى قانون، فهو على هذا الأساس " فن تركيب وترتيب الأفكار بهدف التوصل إلى حقيقة مجهولة أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة ¹ " فالمنهج العلمي هو الذي يعبر عن السبيل الواضح الذي يسلكه العلماء في محاولتهم الهادفة لتحقيق المقاصد التي يرنو لتحقيقها النشاط العلمي، وهو أسلوب فني، يتبع في تقصي الأحداث والحقائق وتبيانها.

فالمناهج ليست قوالب ثابتة تستوجب التقيد بها كما هي، بل طرق وأساليب تختلف من موضوع لآخر، ومن باحث لآخر حسب الظروف الزماني والمكاني وحسب الفلسفة التي دفعت الباحث إلى اختيار البحث في موضوع معين.

الفرع الثاني: المعنى الاصطلاحي

لا يتفق العلماء حول تعريف واحد للمنهج العلمي إذ يقرّر البعض أمثال "رومل" ² "Rommel" "أنّ المنهج العلمي هو فحص دقيق يهدف إلى اكتشاف معلومات أو

¹ محمد مجدوب محمد صالح: أصول المنهج العلمي في القرآن الكريم، دراسة في فلسفة العلوم، ط1 2007

²romel

علاقات جديدة. في حين يذهب " دالين¹" "Dallin" إلى وصفه بالمحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول المشكلات التي تؤرق البشرية.

أمّا العالم " قود²" "gaud" يؤكد على أنّ النهج يختلف باختلاف أنواع البحوث ومجالاتها وأهدافها ووسائلها.

غير أنّ هناك شبه إجماع بين علماء المنهج حول تقرير كون المنهج العلميّ معياراً ملائماً للتمييز بين العلم و اللّاعلم، " فالمعرفة لا تكون علميّة ما لم يتم الوصول إليها عبر تطبيق قواعد المنهج العلميّ³ ".

فالمنهج العلميّ يحتوي على عناصر التشويق، التي تحفز القراء على البحث، وتمكنهم من التعرّف على أسراره.

والغرض من تبيان المنهج هو إيضاح النقاط الهامة، حتى لا يضيع جهد من يبحث في التخبط العشوائي.

والمناهج العلمية قواعد علمية ينطلق منها الباحث من دون التجرد من الخصوصية الذاتية والموضوعية في تحليل المعلومات والبيانات، وبالتالي يعتبر المنهج العلمي أسلوب التفكير والعمل الذي يعتمد عليه الباحث لتنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة حول الظاهرة موضوع الدراسة

¹ dalin

² gaud

³ نجيب الحصادي: نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ط1 1994 ص68

ويمتاز هذا الأسلوب بالمرحلية ويبدأ عادة بتحديد المشكلة، ثم صياغة الفرضيات واختبارها وتحريرها وبالتالي الوصول إلى نتائج وحقائق معقولة .

العلاقة بين المنهج العلمي والبحث العلمي:

هناك خلط بين المنهج العلمي والبحث العلمي عند البعض لذلك وجب التمييز بينها، فالمنهج بغض النظر إن كان عمليا أو غير علمي مجرد فكرة تتم صياغتها في جملة من القواعد العامة التي يتوجب تطبيقها من قبل ممارسي النشاط المعني. أما البحث العلمي فليس فكرة بل تحقيق عيني و ممارسة عملية لفكرة المنهج العلمي، " إنه استقصاء منظم يتخذ من قواعد المنهج العلمي وسيلة لتحقيق مقاصد معينة من شأنها تحقيق و تقريب انجاز النشاط العلمي لمآربه¹ ".

"العلاقة بين المنهج العلمي و البحث العلمي أشبه ما يكون بعلاقة المفهوم-Concept-بالما صدق - Exetention - فكما أن مفهوم الإنسان واحد ثابت مطلق، و ما صدق البشر متعددون مختلفون كونهم بشرا"².

فكذلك المنهج-بقواعد صورية عامة - واحد ثابت ، والأبحاث العلمية تتعدد وتختلف في طبيعتها، على اتفاقها في كونها تتخذ من المنهج العلمي أداة وفي كونها تلتزم بتلك القواعد العامة.

¹ نجيب الحصادي: المرجع نفسه، ص352

² نجيب الحصادي : المرجع نفسه ص354

ولعل شأن عالم المنهج كشأن المرشد الذي يخبر قومه بأن مبتغاهم يمكن الوصول إليه بالسير نحو الشرق، ولهم بعد ذلك ضرب آباط إبلهم أو خيلهم ولهم أن يذهبوا إليه مباشرة أو بطرق أخرى غير مباشرة.

خطوات المنهج العلمي:

البحث العلمي في أي مجال من مجالات المعرفة الإنسانية يتمثل في مجموعة من الخطوات تترايط فيما بينها تراطبا وثيقا يصعب وضع الحدود والفواصل فيما بينها، فكل باحث عند شروعه في الاشتغال ببحثه يتبع مجموعة من الخطوات باعتبارها دليلا يهديه إلى دقة وتكامل البحث، ولا يقصد بهذه الخطوات أن تكون تتابعية جامدة، بل يستخدمها تبعا لطبيعة البحث الذي يقوم به.

و" تعتبر مشكلة البحث هي الخطوة الأولى من خطوات البحث العلمي والخطوة الثانية هي جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالحقائق الخاصة بالمشكلة، حيث يقوم الباحث بتحويل المشكلة إلى حلول تحسينية مقترحة، ثم يأتي إلى خطوة إثبات صحة الفرض أو نفيه ثم الوصول إلى نتائج و تفسيرها¹ ."

وبالتالي المنهج العلمي يتضمن مجموعة من خطوات هي:

- تحديد المشكلة تحديد دقيقا.

¹ إبراهيم محمد تركي: دراسات في مناهج البحث العلمي، ط1 دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية

- جمع البيانات والمعلومات عن هذه المشكلة.
- فرض الفروض المقترحة لكل حل.
- اختبار صحة الفروض.
- التوصل إلى نتائج يمكن تعميمها.

ضرورة المنهج بالنسبة لكل علم:

إن اصطباغ موضوعات معينة بالصبغة العلمية أو عدم اصطباغها إنّما يرجع إلى استخدام المنهج العلمي في بحثها أو عدم استخدامه وهذا ما أردنا إسقاطه على فكر الإمامين الجليلين " ابن باديس " و " النورسي " محاولين تبيان الجانب العلمي والعملي في مشروعهما الإصلاحى الدعوي.

فالموضوع العلمي يمكن أن يخرج عن نطاق العلم إذا نوقش بمنهج غير علمي والأمثلة كثيرة وواردة " فقد تحدث بعض الأمور التي يفسرها العامة تفسيراً خرافياً بإرجاعها إلى أسباب خفية مثل الأرواح والجن، بينما يكون التفسير العلمي لها بناءً على بيان أسبابها التي يمكن التحقق منها تجريبياً".¹

وهذا ما يؤكد على ضرورة المنهج العلمي في أي دراسة سواء كانت طبيعية أو دينية أو سياسية أو اجتماعية حتى تكون الحجة قوية والقناعة تامة وهذا ما

¹ إبراهيم محمد تركي: المرجع نفسه، ص254

سنحاول تبياناه من خلال دراسة المنهج العلمي في فكر العلامتين " النورسي " و
"ابن باديس".

وتقدم العلم يتّصل اتّصالا وثيقا بتقدم المناهج، فليس المهم – كما يقول ديكرت

أن يكون لنا عقل ممتاز، بل المهم أن يستخدم عقلنا استخداما جيدا. -

المطلب الثالث: مفهوم المنهج عند " ابن باديس " و " النورسي".

• أولاً/مفهوم المنهج عند الامام عبد الحميد بن باديس:

لا يختلف تصور " ابن باديس " للمنهج عما تتاديه التربية الحديثة، أي المنهج هو الطريق الواسع والخطة المرسومة لبلوغ الهدف لقوله تعالى: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا¹﴾.

"كما أن المنهج هو ذلك التطور لمراحل التجربة التغييرية من مبتدأها إلى منتهاها، متزامنا مع الإسقاطات العملية، آخذة في الحسبان عنصري الزمان والمكان كحدين أساسين لرسم الكيفيات العملية لمواجهة الإشكاليات، وتوجيه الأحداث بما يخدم الهدف المسطر سلفا".²

"كما أن ابن باديس يرى أن صلاح المنهج هو الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى المبتغى، كما أن فسادة وقصوره كاف للحيلولة دون الوصول إليه أصلا، كما أن المنهج الإسلامي الأصل الذي يضمن تقدّم المسلمين ويساهم في نهضتهم ويعمل على عزهم، هو ذلك المنهج الذي يقدم العلم على العمل، ويفضل العمل على الكلام، ومنهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابية والتابعين"³

1 سورة المائدة: الآية 48

3 رابح تركي: الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط4 المؤسسة الوطنية للكتاب

الجزائر ص76

² رابح تركي: المرجع نفسه، ص78

ثانيا/مفهوم المنهج عند الإمام النورسي:

المنهج عند بديع الزمان سعيد النورسي جاء بمعنى الطريق أو المسلك وهو طريق القرآن الكريم ومنهج الرسول صلى الله عليه وسلم والمنهج ليس مهما فحسب بل هو ضرورة حيوية في الدعوة والإصلاح لوعي الأهداف وتحديد الغايات وضبط الخطط.

يقول سعيد النورسي مبينا ذلك: "منهجنا في ذلك هو إظهار الحقائق الإيمانية

الناصعة المدعمة بالأدلة والبراهين" ¹

فالمنهج يحدد الغايات والأهداف ويضبط الأولويات ويرسم المراحل، ويختار الوسائل والأساليب كما يرى النورسي ويعني أن يتم كل شيء في العملية الدعوية بخطة ونظام محكمين، ومؤسس على الفهم العميق، ودراية بالواقع الإنساني وتبصر بعواقب ومآلات الأمور.

وقد سلك النورسي في رسائله مسلكا خاصا، إذ مزج بين القلب والعقل، وبين ما يقوم على البرهنة والاستدلال العقلي وبين ما يتحقق بالذوق والتجربة الوجدانية، فقد حاول صياغة القضايا الإيمانية والبرهنة على صدقها أو حقيقتها بأسلوب هو مزج بين فكر العقل ومشاعر القلب.

¹ النورسي: الشعاعات، تر احسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة، مصر، ط الاولى 1994ص406

يقول النورسي: "لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشرة عاما ضمن انتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجز البيان¹."

إن كان الجانب الوجداني يغلب على المنهج العلمي، فذلك راجع إلى أن الصراع كان في مجال العقيدة، فمهما كان الانسان موضوعيا ملتزما بمناهج البحث المتعارف عليها علميا، ولا يستطيع أن يتجرّد من ذاتيته وهو يتناول قضايا العقيدة، لا سيما إن كانت تواجه هجوما عنيفا.

إن منهج النورسي تحدد بصورة واضحة من خلال دعوته الإصلاحية، هو منهج متأثر بالقرآن الكريم كما أنه منهج علمي حسي قائم على الحجج والبراهين العلمية حسب ما تقتضيه الضرورة الإصلاحية، يقول إحسان قاسم الصالحي²: "إنه النورسي- استطاع أن يبين من خلال جزء كامل من هذا الكتاب إعجاز القرآن الكريم وبرهن للدارسين وطلاب الحقيقة أنه من السهل أن يستمر في ضوء منهجه العلمي والعقلي والذوقي الرفيع إلى النهاية"³

¹ النورسي: اللغات تر احسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، ط3 2000 ص264

² احسان قاسم الصالحي: مترجم رسائل النور الى اللغة العربية، ومدير مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

³ النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز، تر احسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة مصر ط3

المبحث الثاني: جذور تطور فكرة المنهج بين ابن باديس والنورسي.

المطلب الأول: جذور تطور فكرة المنهج

إذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي نجده حافلا بالجهود والمحاولات في ميدان التجديد فلا يمكننا تجاهل العلامة الكبير ابن باديس، العالم الديني والمجدد الاجتماعي والمفكر السياسي والعلامة العظيم في التربية والتعليم والإصلاح الأستاذ "سعيد النورسي"

ويعدان من أبرز المجددين، فقد كانا يترأسان الحركة الإصلاحية وكانا من أوائل المفكرين في عصرهما، فلم يثنيا أي جهد لتحسين الوضع والواقع المتدهور الذي خلفه الاستعمار، فبدلاً جهدهما في التجديد الديني والفكري و السياسي، وهذه الأفكار لم تأت من العدم، بل جاءت جزاء تأثرهما بالكثير من المجددين الذين سبقوهما في هذا الميدان، أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والأستاذ رشيد رضا الذين كان لهم دور كبير في مجال التجديد وإيجاد منهج علمي مناسب لهذا التجديد.

وعلى ضوء هذا نطرح الإشكال التالي: كيف ساهم كل من جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والأستاذ رشيد رضا في مجال التجديد وما هي المجالات التي ساهم كل منهم في محاولة تجديدها؟ وما هو المنهج المتبع في هذا التجديد الحضاري؟

أولا/فكرة المنهج عند جمال الدين الأفغاني :¹

عندما نتكلم عن الأستاذ جمال الدين الأفغاني * لا يمكننا أن نتجاهل آرائه الفكرية الفلسفية وحتى آرائه الإصلاحية وعن موقفه العلمي والعقلي، وعن نظريته في تخليص الدين من البدع والخرافات والعودة إلى الأصل الذي قصد به القرآن الكريم وكذا العودة إلى السنة النبوية، ولا يمكننا أن ننسى أو نغض الطرف عن كونه كان المصلح الديني، فهو يعتمد في مشروعه على العقل " في الحقيقة نجد أن رؤيته في هذا المشروع تعتمد أولاً على إعمال العقل في حركتين متوازيتين الأولى منها ستؤدي إلى الاجتهاد في الدين وإلى إصلاح ديني ينقي العقلية الإسلامية من رجعتها مما يساهم في تهيئتها لقبول الاقتباس العلمي من الغرب للنهوض المادي وهي الحركة الثانية"².

إن الأفغاني يريد منّا إستعمال العقل في مدارين متوازيين، الأول هو العودة إلى الدين ومحاولة إصلاح العقل الاسلامي من رداءته، أي أفكاره المتخلفة أما الحركة الثانية يقصد بها التخلص من فكرة عدم الاقتباس أو عدم الأخذ من أفكار الغرب في محافل التطور المادي .

¹ جمال الدين الافغاني: هو سيد محمد ابن جمال الدين، ولد في قرية اسعد آباد، 1897 من مؤلفاته "البيان في الانجليز والافغان" توفي عام 1939

² -مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الافغاني واشكاليات العصر، المطابع الاميرية، (د ط) 1996 ص99.

حين نتحدث عن جمال الدين الأفغاني لا يمكن التحدث عنه بسطحية دون التوغل في النقاط التي انطلق منها في إطار مشروعه التجديدي الذي سعى فيه لإعادة الشخصية الإسلامية وإحيائها، وذلك عبر تجديد الفكر والنظريات التي تلطخت بتشوهات كثيرة ناتجة عن أسباب مختلفة، أدت إلى الاندثار والتخلف الذي أدى بالإنسان المسلم إلى ترك مسؤوليته نحو مجتمعه ودينه.

ومن بين العوامل التي اعتمدها في مشروعه التجديدي نذكر منها :

أ - العقل :

من أهم مميزات مشروع التجديد الأفغاني الذي يعتمد عليه في التجديد الديني هو العقل، فهذا الأخير هو العامل الأول في التجديد وذلك عن طريق إحكامه والاستعانة بجميع قواه، إذ يمكننا الأخذ من الغرب ولكن ما هو مناسب فقط " تجديد الصلات الحضارية مع الغرب، واقتباس المناسب منها، كما صنع العرب في العصر العباسي، حتى يتمكن الشرق من العودة إلى دائرة التأثير والعطاء الحضاري¹ . "

فالأخذ والاقتباس من الغرب مباح، ولكن في حدود العقل، وبإحكامه لا يمكن للإنسان الوقوع في المتاهات.

¹ - طلبة القطب محمد: رواد الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الأولى،

ب - العقل واستخدامه الديني :

عندما يتحدث الأفغاني عن المنهج العلمي بالتحديد يرفع من قيمة العقل فهو اللب الذي لا يمكن الاستغناء عنه في معرفة و إدراك الأشياء "إن هذه النظرية تتطوي على متضمنات بعيدة الأثر ، فهي تعني أنه يجب استعمال العقل استعمالاً تاماً في تفسير القرآن ، فإذا بدا لنا أن القرآن يناقض ما هو معروف الآن ، فعلينا أن نفسره رمزياً ، إذ أن القرآن يلمح إلى الأشياء لم يكن بوسعها شرحها الشرح الوافي، لأن العقول لم تكن مستعدة لذلك أما الآن ،وقد بلغ العقل كماله فعليه أن يحول الكشف عن حقيقة تلك التلميحات " ¹ يقصد في هذا الصدد أن للعقل أهمية بالغة في فهم وتفسير القرآن كما ينبغي، فنجد في القرآن أشياء غير مفهومة بشكل واضح ولكن بالعودة إلى العقل و استعماله بشكل صحيح يمكن فهمها فهما صحيحا، فاستعمال العقل و تحكيمه يخلص المسلمين من جميع الشبهات و الأمور غير المفهومة والغامضة.

ج - الاجتهاد ضرورة عقلية:

نجد الأفغاني يلح على ضرورة الاجتهاد لقمع التقليد، كما نجده يصر على ضرورة توفر شروط في المجددين من بينها: "أن يكون المجدد عالم باللسان العربي،

¹ آلبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار لبنان، د ط س ص 159

وعاقلا غير مجنون، وعارفا بسيرة السلف وما كان من طرق الإجماع، وما كان من الأحكام مطبقا على النص مباشرة، أو على وجه القياس، وصحيح الحديث جاز له النظر في أحكام القرآن وتمعنها أو التدقيق فيها واستنباط الاحكام منها من صحيح الحديث والقياس"¹

ويقصد في هذا الصدد أن المجدد الديني يجب أن يكون متمكنا من اللغة العربية وأن يكون عاقلا، وعالما بما سبق من الإجماع، والأفغاني مجتهد وأصدر العديد من الأحكام الجديدة لم تتناول من قبل. وهو كسياسي يتميز كغيره من السياسيين بالمناورة والتكتيك، وإن كان قد تميّز عن سياسيي عصره لوضوح هدفه السياسي وإيمانه العميق به بالإضافة الى أنه كان بعيدا عن المناصب السياسية مما أبقى على وجوده في الساحة السياسية طيلة حياته.

د - العقل والاستخدام العلمي :

فقد نادى الأفغاني بضرورة تشغيل العقل تشغيلاً علمياً الذي يعرف به الخير والشر و ويؤدي إلى ازدهار الشعوب الإسلامية. " إن الإنسان من أكبر أسرار هذا الكون وسوف يصل بالعلم وبإطلاق سراح العقل إلى تصديق تصورات، فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا وما صوره جموده وتوقف عقله عنده بأنه

¹ مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الأفغاني واشكاليات العصر، المرجع نفسه، ص99

خيال قد أصبح حقيقة¹. "بمعنى أن الإنسان هو عنصر مهم جدا في تسيير الكون وأن العلم الذي يصل إليه سوف يكون عن طريق العقل وهذا الأخير سيجعل التصورات التي كانت مستحيلة ممكنة وأن كل ما كان جامدا يصبح يقينا وحقيقة.

هـ - الدعوة للاقتباس من الغرب دعوة عقلية :

نجده يدعو إلى الاقتباس من المعارف والعلوم الغربية حيث يقول "يا أبناء الشرق أفلا تعلمون أن سلطة الغربيين وسيادتهم عليكم إنما كانت بارتفاع درجتهم في العلوم المعارف"²

وبالتالي فالأخذ من المعارف والعلوم الغربية هو سلاح في حد ذاته لمحاربة الغزو الغربي ولكن الأفغاني يحذر من التقليد الأعمى للغرب، بل أخذ ما يمكن الانتفاع منه في مسألة التطور أو الازدهار دون الابتعاد عن الدين والتراث فهو ينادي بالأخذ من علوم ومعارف الغرب ولكن في حدود الدين الإسلامي والعقل.

و المساواة :

يقسمها إلى قسمين (المساواة الداخلية) في الوطن (والمساواة الخارجية) بين الأمم، أما المساواة الداخلية يقصد بها المساواة بين جميع المسلمين، فالدين هو الذي يربط بينهم ويقوي الصلة بين الأفراد فيما بينهم فهو العمل الأساسي في تقوية الروابط بين

¹ - محمد عمارة: جمال الدين الافغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الشرق، دار الشرق، ط الثانية، 1988 ص99

² محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، الأهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1 2003 ص177

الأشخاص دون أي عامل آخر، فالمساواة بين الأفراد تجعل منهم قوة واحدة تستطيع التغلب على المستعمر الغرب، أما المساواة الخارجية فهي المساواة بين الأمم ولا يمكنها أن تتحقق إلا إذا تحققت المساواة الأولى.

ز - الجامعة الإسلامية :

يطرح الأفغاني فكرة الجامعة الإسلامية ضمن مشروعه الواسع " لا جرم أن شيخنا الأفغاني كان في حياته وجولاته في بلاد الإسلام رمزا قائما بنفسه يدعوا إلى وحدة الممالك الإسلامية، وأند سكانها شعب واحد يعيشون في وطن واحد، ولذا كان أكبر غرض يسعى إليه هو إقامة حكومة إسلامية قوية ينضوي إلى رايها جميع شعوب الإسلام"¹ بمعنى أن الأفغاني كان يسعى إلى تحقيق الوحدة بين المسلمين وأن كل العرب هم شعب واحد كأنهم ينتمون إلى بلد واحد لذلك همه الأكبر توحيد الشعوب الإسلامية وتحقيق الوحدة الإسلامية.

ح - تركيز الوعي وتنقية الفكر الإسلامي من الشوائب :

نجد الأفغاني يلح على حضور الوعي فهو العامل الذي إن غاب لن يتحقق المشروع الإصلاحي ، فالوعي هو جوهر العلم للنهوض من سبات التخلف " فغياب الوعي كان كارثة الأمم المتخلفة، والسبب وراء الجمود الفكري والتراجع الثقافي"²

¹ محمد القطب طبلية: رواد الفكر العربي في الإسلام، المرجع نفسه، ص43

² مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الافغاني واشكاليات العصر، المرجع نفسه، ص116

ويقصد هنا أن غياب الوعي ونقصه كان السبب الرئيسي في عدم تخلص الأمة من بصمة التخلف وعدم التطور الفكري والثقافي ، كما يجب على المسلمين التخلص من الأفكار الزائفة التي ليست واردة في الدين الإسلامي والبعيدة عن الشريعة الإسلامية "لقد سعى السيد جمال الدين الأفغاني إلى فك أغلال العقل وتحريره من سلطة الأوهام وإخراجه من بوتقة العقائد الفاسدة إلى رحاب الحضارة الإسلامية النيرة"¹ يعني أنه يجب تخليص العقل من القيود التي تمثلت في الأوهام ويجب الاستغناء عن الأفكار والمعتقدات الفاسدة و غير الصالحة التي لا تتماشى مع الشريعة الإسلامية.

وفي الأخير إن جمال الدين الأفغاني كان له منهج علمي أسقطه على الواقع في الفكر الإسلامي، مجدّ العقل واعتبره عاملاً رئيساً في التجديد والنهوض من أزمة التخلف والتراجع الثقافي وركز كذلك على فكرة التفتح والاطلاع على الحضارة الغربية وذلك من أجل الاستفادة من علومها وتجاربها العلمية ولكن دون الخروج عن حدود الدين الإسلامي.

ثانياً: فكرة المنهج عند محمد عبده²

يعد من التابعين في التجديد والإصلاح حيث تتلمذ على يد جمال الدين الأفغاني الذي كان تكلمة له في كل الأعمال، فقد ألمّ بالجانبين: النظري والتطبيقي. وكان له

¹ ماجد الخرباوي: قضايا إسلامية معاصرة واشكاليات التجديد، دار الهادي، (د ط) 2000 ص 117

² محمد عبده: (1905/1848) مصلح ديني يعد من كبار الدعاة في التجديد في العالم الإسلامي ولد في مصر مدينة نصر في قرية نخلة .

دور كبير في تجديد الفكر العربي، وترك كثيرا من الأفكار والتصورات التي ترفعه إلى مستوى المجدد، فقد ركز على تجديد الدين الذي كان مليئا بالشوائب "إن ضعف المسلمين سببه سوء العقيدة والجهل بأصول الدين، وإن ذلك أضع أخلاقهم وأفسدها وإن العلاج الوحيد هو اصلاح التعليم الديني، وقد رسم لذلك خطه".¹

يعني هذا أن محمد عبده انطلق في بداية إصلاحه بإصلاح العقيدة التي كانت ناقصة، وتيقن أن الحل الوحيد الذي بإمكانه تغيير الأمم هو التعليم الديني وعلى هذا النحو بدأ مشروعه.

" كان يدرك تمام الإدراك أن العيب ليس في التراث بل العيب في النظر إلى التراث من منظور رجعي لا يتماشى مع العصر"² وبالتالي هو لم يرفض التراث بل كان يرفض رؤية التراث بعين التقليد القديم الخالي من الإبداع.

لم يقف عند التراث بل مجد العقل أيضا "وبكفي الشيخ محمد عبده فخرا أنه كان من خلال كتبه ووسائله مدافعا عن العقل الذي يعد أشرف ما في الإسلام"³ كما حاول تحقيق ثلاثة أهداف في مشروعه بمنهجية علمية دقيقة تمثلت في: **التجديد الديني** و "تحرير الفكر من قيد التقليد"⁴ بمعنى تخليص العقل من أغلال التقليد، وهو يرفع من

¹ احمد امين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت د(ط س) ص 309

² عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، قضايا ومذاهب وشخصيات، دار قباء، القاهرة، د(ط) 1998 ص 181

³ العراقي عاطف : المرجع نفسه: ص 181

⁴ محمد عمارة: الاعمال الكاملة، للشيخ محمد عبده، دار الشرق، بيروت ط 1 1993 ص 184.

مكانة العقل وقدراته في تمييز وكشف ما هو موجود في هذا الكون، ومن النقاط التي اعتمد عليها في أثر العقل في التجديد الديني:

- إعلائه شأن العقل في تفسير القرآن: وذلك باستخدام العقل بشكل صحيح

وإعلائه شأن العقل كقوة من قوى الإنسان ، فهو يرى أن العقل هو سبيل لمعرفة الله فنجده يقول "إن العقل يقود صاحبه إلى الحقيقة الصالحة بالنسبة للفرد لا كعضو ينتمي إلى الجماعة ، وحتى في هذه الحالة فإن العقل هو من يثبت صحة ذلك الوحي الذي يمثل الطريق الوحيد المؤدي إلى اليقين ،فهو إذا عقل هادف ،وليس تلك الآلة الفكرية التي يتلاعب بها البعض لإقحام الخصوم"¹ فالعقل عند محمد عبده هو الأداة الوحيدة لفهم الوحي وبدونه يفهم بطريقة ناقصة ،فهو يهدف إلى معرفة اليقين والحقيقة وليس أداة فكرية فقط تؤدي إلى النقاش بين الخصوم .

أما الهدف الثاني فتمثل في التجديد اللغوي الذي سعى إليه في إصلاح اللغة والأدب بحيث "يجعل حاضرنا اللغوي والأدبي امتدادا لعصرنا الذهبي، وتخطي عصور الركافة التي غرق فيها أدبنا في الشكليات والزخارف والمحسنات"² وهذا يعني التخلص من الشبهات والنقائص الموجودة في اللغة والأدب وذلك عن طريق الرجوع إلى قواعد اللغة العربية في التعبير استعمالا سليما، وإنارة هذه القواعد بمصباح العصر

¹ عبد الله العروي: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3 2001 ص64

² محمد عمارة: الاعمال الكاملة عند الامام محمد عبده، المرجع نفسه، ص183

الحديث، بذلك تستطيع اللغة التخلص من الشبهات التي شوهدت نقاء الأدب في العصور السابقة. أما الهدف الثالث فهو التجديد السياسي ولكن في هذا المجال لم يكمل مسيرته التجديدية لهجره السياسة وتفرغه للتجديد الديني واللغوي. اعتمد

محمد عبده في مشروعه على ثلاث نقاط مكملة لبعضها البعض تمثلت في:

- تطهير التعليم العالي الإسلامي.

- إعادة وضع أسس العقيدة الإسلامية على ضوء الفكر الحديث.

- الدفاع عن الإسلام، وهنا توقف عند اتجاهين هما: "الأول يتصل بإصلاح الفكر الديني من ناحية النظر والثاني بإصلاح المؤسسات الإسلامية من ناحية العمل"¹ ويقصد إعادة النظر في مسألة الدين ومحاولة تطهيره من البدع والشبهات التي لا تليق بالشريعة الإسلامية وذلك من خلال إعمال العقل، أما الجانب الثاني بإصلاح المؤسسات الإسلامية من ناحية العمل في مجالات مختلفة اقتصادية اجتماعية سياسية .

وفي ختام الحديث عن محمد عبده، نلاحظ أنه وصل إلى الرقي في مشروعه

التجديدي باختياره لمنهج علمي دقيق وهو من أبرز المجددين الذين لا يمكن إغفال دورهم في نهضة الأمة.

¹ زكي الميلاد: من التراث إلى الاجتهاد في الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي العربي،

المغرب، ط1 2004 ص85

ثالثاً/فكرة المنهج عند رشيد رضا: ¹

يعد من أهم المجددين بعد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فقد تتلمذ على يد محمد عبده وأخذ منه كل الزاد وواصل المسيرة الحضارية، وكان له مجالان حاول من خلالهما إصلاح حال الأمة الإسلامية تمثلاً في:

- التجديد الديني والتجديد الإصلاحي:

يربط رشيد رضا بين التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي "ذلك أن الإصلاح الحقيقي مستحيل من دون دمج الإصلاح الديني في الإصلاح الاجتماعي" ويقصد أن التجديد الديني لا يمكن أن ينجح من دون ربطه بالجانب الاجتماعي² وذلك واضح في منهجه حيث أكد على التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي في بادئ الأمر، صحيح أنه أحرّ الإصلاح السياسي، لكن لغاية في نفس يعقوب، كونه كان مرحلياً في منهجه، ويرى أن الإصلاح لن يتم بصورة كاملة إلا إذا تحققت فيه ثلاث نواح:

الناحية الأولى ركز فيها على جانب الشورى والمساواة والعدل: فهو يرى أنه لتسير أمور الأمة وتنجح لابد أن يكون هناك أناس وحكام يستحقون هذا المنصب يحققون المساواة والعدل وينشئوا مجالس الشورى ولا يكونوا حكاماً مستبدين ولهم حكم مطلق من دون الرجوع إلى رعيّتهم في أي شأن من الشؤون. والناحية الثانية ركّز على

¹ رشيد رضا: ولد عام 1872 بقرية القلمون، قرب طرابلس، الشام،

² احمد صلاح زكي: اعلام النهضة العربية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1 2001

جانبا الأخلاق والتربية والتعليم: فالإصلاح يكون في الأمة وفي المجتمع ولذلك لا بد من تصحيح الأخلاق وتغيير الأفكار والمعتقدات البالية عن طريق التعليم والتربية أولاً لكي تكون لها قابلية الإصلاح.

اعتمد رشيد رضا في منهجه الطريقة السليمة. "فإن رشيد رضا يرى أن الإصلاح لن يبلغ غايته إلا إذا كانت الطريقة إلى ذلك صحيحة"¹ وبالتالي للوصول إلى التجديد الناجح لابد من اتباع طرق وقواعد سليمة صحيحة ، فإذا صلحت الطريقة صلح التجديد، وقد ركز رشيد رضا على سلامة المنهج كشرط ضروري لسلامة الفكر التجديدي ، كما نادى بضرورة تجديد العقيدة "لا نهضة إلا مع عقيدة سالحة، وعليه لابد من تجديد العقيدة الإسلامية وتجاوز الجمود"² "فالتجديد الذي يحتاجه المجتمع الإسلامي يجب أن يتحقق فيه عدة شروط، كأن يشتمل على كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية والصناعية والتجارية.

¹ احمد صالح زكي: اعلام النهضة العربية، المرجع نفسه، ص81

² علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر الحديث، دار الكتاب الثقافي، الأردن، (د ط) 2005 ص266

المطلب الثاني: أثر الروافد الثلاثة على المنهج الباديسي والمنهج النوري¹.

الفرع الأول: أثرها على المنهج الباديسي.

" يتفق كثير من الباحثين والمؤرخين أن منهج ابن باديس في الإصلاح ما هو الا امتداد لحركة الشيخ محمد عبده، إذ يرون أنه تأثر في شبابه بالحركة السلفية ومدرسة محمد عبده خاصة² فقد تأصل هذا التأثير في أعماقه، كما تأثر برشيد رضا، التلميذ المخلص لمنهج أستاذه. "هذا التأثير بدا واضحا في ثنايا الترجمة الشاملة التي خصه فيها، مستعرضا فيها جوانب مضيئة من حياته شارحا الأسباب التي هيأت له ليكون نسيجا وحده لهذا العصر، فقيها في الدين وعالما بأسرار التشريع محيطا بعلم الكتاب والسنة " ³

لكن ابن باديس لم يقف عند هذه النقاط بل توسّع فيها وأضاف إضافات عملية ميدانية آتت أكلها بعد حين. وفي ثورة ابن باديس الفكرية نجد بصمات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، إذ نجده استوحى منهجه من خلال الكتاب والسنة اللذان يعتبران مسار تطور حياته، بحيث سعى من خلاله الى توجيه التاريخ وتغيير الأمم نحو الأفضل انطلاقا من تربية الأجيال وتعليمهم تعليما قرانيا. لذلك نجده يقول :

" فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم "⁴ فالتعليم الذي يسير على أساس قرآني هو الذي ينهض بالأمم نحو الثقافة والتربية والاطلاع نحو مستقبل أفضل.

¹ استعملنا لفظة النوري بدل النورسي للاختصار وهو لفظ متداول في الكتب.

² محمد مقبل فهمي توفيق: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة، المرجع نفسه ص11

³ - محمد مقبل فهمي توفيق : عبد حميد بن باديس رائد الاصلاح والنهضة ، المرجع نفسه، ص 12.

⁴ _ عمّار الطالبي: عبد الحميد ابن باديس، حياته وآثاره، الشركة الجزائرية الطبعة الثانية، الجزائر، 1997، ص7.

وعليه يتضح أن حركة ابن باديس الإصلاحية تأثرت بالروافد الثلاثة، إضافة إلى أنه أصل لفكره منهجا علميا دقيقا ومدروسا يكفل كل المراحل التي مرت بها الجزائر.

الفرع الثاني: أثر هذه الروافد على المنهج النوري.

إن جذور المنهج الأفغاني نلاحظها متأصلة في الفكر النوري سواء من حيث الجانب العقدي حين انتهج النورسي منهج العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية ومحاولة فهمهما بطريقة صحيحة خالية من كل نقص وهو الأمر نفسه الذي قام به جمال الدين الأفغاني " كان الأفغاني يؤمن إيمانا لا يتزعزع بأن فلاح المسلمين في العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية من جديد حتى يتمكن العالم الإسلامي من استعادة ما كان له من مجد وقوة وما كان له من الوحدة والوقار"¹

كما لا يمكننا أن نغفل الجانب الثاني الذي اعتمده في فلسفته وهو تقديسه للعقل وهو الأمر نفسه نجده عند الأفغاني الذي اعتبره قادرا على معرفة كل شيء وباستطاعته امتحان كل شيء، فعقل كل إنسان قادر على فهم الدين وتفسيره، ولا يوجد تباعد بين الدين والعقل بل هذا الأخير في نظره مكمل للدين فلا يمكن للعقل البشري أن يحقق نفسه إلا بالإسلام، وحين دعا النورسي إلى إنشاء جامعة الزهراء لتدرّس فيها العلوم الدينية والدينية، فهو بذلك يكمل مشوار الأفغاني حين دعا إلى إنشاء الجامعة الإسلامية.

كان الإمام محمد عبده يدعو إلى تجهيز فئة ممتازة وجديرة بأخذ زمام الأمور في كل المجالات، تكون جاهزة لإنشاء العقل الإسلامي ليهاجم الجمود والتحجر ويقضي على كل ما يعيق التقدم الإسلامي وازدهاره، هو الأمر نفسه نجده عند النورسي حين دعا إلى تأهيل الدعاة وتربية طلبة النور من أجل إنقاذ الإيمان في

¹ - امان محمد صافي: تأثير فكر الافغاني في فلسفة اقبال، الفاروق الحديثة، القاهرة ط الأولى، 1995 ص42

النفوس ثم النهوض بالأمة، حتى إنهما استعملا نفس المصطلح، حين ابتعدا عن السياسة ووصفاها بالشيطان.

لقد التقى النورسي مع الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا في نقاط كثيرة نذكر منها: أن تعاليم الإسلام وقواعده الخلقية من شأنها إذا فهمت على حقيقتها وطبقت بكاملها، أن تؤدي إلى الفلاح لا في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضا، أي النجاح في جميع أشكاله المعرفية في العالم... أما إذا لم تفهم على حقيقتها أو لم تطبق فإنها تؤدي إلى الضعف والهلاك والفساد.

الفصل الثاني

المنهج العلمي في فكر

ابن باديس.

الفصل الثاني: المنهج العلمي عند ابن باديس.

المبحث الأول: المنهج الباديسي في جانبه النظري.

المطلب الأول: أصول منهجه

المطلب الثاني: خصائص منهجه

المطلب الثالث: أبعاد منهجه

المبحث الثاني: المنهج الباديسي في جانبه التطبيقي

المطلب الأول: أساليب المنهج الباديسي

المطلب الثاني: وسائل المنهج الباديسي

المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة بأهداف المنهج العلمي

المطلب الأول: الإنجازات المحققة

المطلب الثاني: إمكانية الاستفادة منها في الواقع العملي

لقد سجل لنا التاريخ أن العظماء والعباقرة لا يظهرون عادة إلا عندما تشتد أزمت الشعوب ، بانعدام العلم و التعليم وانتشار الاستلاب الفكري وضياع الحرية وبالتالي تفشي الجهل والامية، وتمكن الاستعمار فكريا وسياسيا وعسكريا، وهذه حالات وأوضاع وإرهاصات، سبقت العلامة' عبد الحميد بن باديس "حيث أصبحت الحاجة إليه أكيدة، فقد مثّل مرحلة النضج والوعي في حركة التاريخ ورجل الإنقاذ لمرحلة من مراحل المعاناة البشرية ، ووفق الله المفكر " ابن باديس "إلى قيادة المعركة الحضارية للأمة بدءا بالتربية والتعليم والتوجيه والتجديد والتنوير ... بمنهجية علمية دقيقة تشمل كل الجوانب الفكرية ,السياسية, الاجتماعية والاقتصادية ،فجاء مشروعه لبنة نموذجية لبناء شامخ من المؤسسات التربوية والتعليمية ،موزعا بين ربوع الوطن بنضال وتضامن معنوي ومادي مع أبناءه.

فما طبيعة المنهج الذي سلكه ابن باديس؟ وهل هو منهج مرحلي مرتبط بزمن الاستعمار فقط أم أنه منهج يكفل كل المراحل؟ وما أثر هذا المنهج في يقظة الأمة علميا؟ وثقافيا؟ واجتماعيا؟ وعقائديا؟

المبحث الأول: المنهج الباديسي في جانبه النظري¹

المطلب الأول: أصول منهجه

إن البحث في أصول منهج الشيخ عبد الحميد ابن باديس ليساعدنا في تأصيل تجربته وربطها بجذورها ومنطلقاتها الحضارية، ومن ثم يسهل علينا تحديد موقعنا في سلسلة حلقات الإصلاح التي عرفتها البشرية، وبحكم الطابع الديني والاجتماعي والعلمي لهذه التجربة الإصلاحية فإننا نقتصر على الحديث عن الأصول العقائدية والفكرية والسياسية.

أولا/الأصول العقائدية:

صحة العقيدة عند ابن باديس شرط في سلامة البناء وموقعها كموقع الأساس من الجدران، لا تقوم ولا تدوم إلا بصلابته وتماسكه و في المقابل فساد العقائد أساس كل شر يجنيه الإنسان على نفسه وعلى مجتمعه لما ينجم عنه من جمود في التفكير وفساد في التصور و تقليد أعمى للأباء و الأجداد في الاعتقاد والانحرافات والضلالات، وقد لاحظ ابن باديس الانحرافات العقائدية التي يعيشها المجتمع الإسلامي عموما والجزائري خصوصا والتي تراكمت عبر العصور بفعل الجمود الفكري الذي أوجد حلّة من التقليد الأعمى أساءت إلى الدين وشوّهت صورته

¹ عبد الحميد ابن باديس: رائد النهضة في الجزائر ولد 1889 توفي 1940 تولى رئاسة جمعية العلماء المسلمين، من آثاره تفسير القرآن الكريم.

ولذلك "كانت أهم الأسس التي أقام عليها ابن باديس دعوته إلى الإصلاح و التي تأثر فيها بالحركات الإصلاحية الأخرى هي دعوته إلى الرجوع إلى الأصول الإسلامية الأولى الكتاب والسنة وإلى طريقة السلف ومنهجهم في التعامل مع هذا الدين و نصوصه والتكيف مع الواقع الذي نعيشه" لقول النبي صلى الله عليه وسلم " تركت فيكم أمران ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله و سنتي " ¹.
"إن ربط ابن باديس تجربته الإصلاحية بالكتاب والسنة يدل على أن فكره مبني على قناعة بأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها ولذلك اعتمد على الكتاب والسنة وفي كل شيء. لاسيما العقائد فقد "كان يتبع في الاستدلال على وجود الله ووحداية وصفاته منهج القرآن الكريم" ².

" لقد كان ابن باديس واضحا كل الوضوح في تحديد أصول دعوته وكشف مصادر فقهه وعلمه، وتحمل في سبيل ذلك عننا كبيرا من شيوخ الطريقة ³الرافضيين لنهجه، ومن العلماء الرسميين الذين أوجسوا خيفة من نشاطه وجرأته، ولقد عدّ أصول دعوته فذكر الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح كما ركز على تراث علماء سلف الأمة وتجدر الإشارة إلى أن ابن باديس في منطلقاته الفكرية المفاهيمية العقدية متأثر

¹ اخرجه مسلم

² إبراهيم التهامي: الجانب العقدي من جهود الامام ابن باديس، مجلة الموافقات، الجزائر، العدد السادس، 1997ص241

³ رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد التربية والإصلاح في الجزائر، ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 ص160

"بابن العربي الإشبيلي الأندلسي" و متأثر بكتاب العواصم من القواصم الذي نصح بقراءته ، وهو كتاب صغير جمع بين سائر الكتب العلمية فوائد جمة وعلوما كثيرة، فتعرض فيه لآراء في العلم باطلة، وعقائد في الدين ضالّة وسماها قواصم، وأعقبها بالآراء الصحيحة والعقائد الحقّة مؤيدة بأدلتها النقلية وبراهينها العقلية المزيفة لتلك الآراء والمبطلّة لتلك العقائد وسماها عواصم¹.

لقد اتخذ ابن باديس من القرآن مصدرا أوحدا في تحديد طبيعة القضايا المدروسة ثم يستدل عليها بالاستدلال القرآني نفسه ليصل إلى إقرار نفس الحقائق التي أقرّها القرآن، ويصف "البشير الإبراهيمي" منهج ابن باديس بقوله: "كان يلقي دروسا في أصول العقائد الإسلامية وأدلتها من القرآن على الطريقة السلفية التي اتخذتها جمعية العلماء المسلمين منهاجا لها بعد ذلك، وبنيت عليها جميع مبادئها ومناهجها في الإصلاح الديني."²

وطريقة ابن باديس ونهجه في تلقين العقيدة أوضح ما نلاحظه في تفسيره للقرآن من خلال كتاب "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير" وكذلك شرحه للحديث النبوي من خلال "مجالس التذكير من حديث البشير النذير"، ونلاحظ حرصه الشديد على ربط المتعلم بالنص القرآني والحديثي وسبيله في التدليل على قضايا الاعتقاد،

¹ عمار الطالبي: ابن باديس حيلته وآثاره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط-ج 1 ص 75

² ابن باديس: العقائد الإسلامية، مكتبة دار النشر الجزائرية، مرزاقة، بودواو، وشركائها، الجزائر، ص 15

القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح دون الالتفات لاختلافات المختلفين وجدال المجادلين.

"واقصر ابن باديس على الأسس والمنطلقات الثلاثة (القرآن والسنة وتراث السلف) مبني على قناعة مفادها أن العقائد تستند إلى منطلقات ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ما دام الأمر كذلك فإن أصفى ما يكون عليه ماء النهر هو منبعه ومنبع هذا الدين هو كتاب الله وسنة نبيه وهدى السلف الصالح"¹.

ثانيا/الأصول الفكرية: إن القارئ لآراء ابن باديس في شتى القضايا الدينية والفكرية والثقافية والسياسية يلمس التزام الإمام وتشبّته بحقائق دينه ونهج سلفه وتاريخ أمته، كما يلمس تفاعله مع مجتمعه مما يؤكد صلابة القاعدة الفكرية التي ينطلق بها في رؤيته للأشياء وتفاعله وتنقسم الجذور الفكرية لابن باديس إلى قسمين:

قسم 1: التوجه الديني المتمثل في السلفية كمذهب له فلسفته وتصوراته مع توضيح " لفكرة السلفية عند الإمام عبد الحميد ابن باديس التي لا ترفض معايشة العصر والتفتح على علومه والاستفادة من كل ما يمكن المجتمع من مسايرة الركب الحضاري، كما لا

¹ عمار بن مزور: عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والاصلاح، دار الامل الجزائر ندون طبعة 2010

ترفض الرجوع إلى العقل في معالجة الأمور دون أن يكون في ذلك ما تمس جوهر العقيدة وتضارب مع حقيقة الإسلام¹

قسم 2: الواقع الذي عايشه ابن باديس: الزاخر بأحداث وتغيرات محلية وإقليمية وعالمية، منها: التوجّه الفكري لابن باديس الذي بدأ واضحا في أدبياته و مقالاته وخطته الإصلاحية ، والواقع العالمي: كدخول تركيا الحرب ضد الحلفاء سنة 1914 حيث سعت فرنسا إلى حمل الجزائريين على الوقوف معها ضد الدولة العثمانية و وعد بلفور الذي تتعهد فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وبنود الرئيس الأمريكي "ولسن" سنة 1918 التي أعطت بارقة أمل للشعوب المستضعفة فكان الجزاء الاعتقال والنفي ، فبدأ واضحا أن المعول عليه هو بناء جبهة داخلية واعية متعلمة قادرة على افئتكاك حقوقها بنفسها والتواصل بين المشرق والمغرب من خلال البعثات العلمية والصحافة.

ثالثا/الأصول السياسية: من الغريب أن نبحت في الأصول السياسية مع العلم أن جمعية العلماء المسلمين ليست سياسية بل هي انعكاس لفكر ابن باديس بشكل أو بآخر وليست حزبا سياسيا في تصوره وآليات عمله وليست نقابة اجتماعية تحصر

¹ عبد القادر فضيل ومحمد صالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، ط1 الجزائر دار الامة العربية

نشاطها في الانتصار لفئة معينة في إطار معين، وليست جمعية خيرية همّها إطعام الجائع فقط، بل نظرة بسيطة إليها تجعلنا نقف على كبريات القضايا السياسية.

ومن الآراء السياسية التي تأثر بها ابن باديس آراء ابن عربي في مواقفه السياسية، حيث نجد أن ابن العربي يحصر القادة في العلماء والأمراء كما تأثر بالمعاصرين له أمثال "جمال الدين الأفغاني" في نظريته لتشخيص واقع المسلمين وسبل النهوض بهم، ثم الشيخ "محمد عبده" في توفيقه بين العلم والدين "وهو جوهر العقلانية الإصلاحية وهو تمييزه الواضح بين وظيفة كل منهما ومجال عمله في المجتمع"¹ كما تأثر "بالكواكبي" في مناهضة الاستبداد، وبرشيد رضا في مسألة تحرير الشعوب من الغزو الغربي "لعلّ اللافت للنظر في فكر ابن باديس السياسي هو المبالغة في الحيطة والحذر فيما يكتبه العالم المصلح حفاظاً على الهيئة"²

المطلب الثاني: خصائص منهجه

هناك جملة من الخصائص والمميزات لمنهج ابن باديس نجملها فيما يلي:

أولاً: النزعة العلمية المعرفية:

لا يمثل الارتقاء العلمي والمعرفي وسيلة وهدفاً في آن واحد، فكونه وسيلة فلأنه الضمانة الأكيدة للوصول إلى الحقيقة لقوله تعالى: ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة

¹ برهان غليون: محمد عبده ومنبر الفلسفة الإصلاحية، مجلة الوحدة، العدد 3 ص 20

² عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند ابن باديس، مجلة الموافقات العدد السادس السنة السادسة 1997 ص 296

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن¹ ولا يكون ذلك إلا بالعلم. أما كونه هدفاً فلأن العلم يحقق كينونة الإنسان انطلاقاً من كونه حيواناً عاقلاً مكلفاً ومستخلفاً في الأرض وبغير العلم تبقى هذه المعاني غير واضحة في ذهنه إذ لا سبيل لإدراكها إلا بالوحي الذي لا نفقه سره ومراده إلا بالعلم . فعلى العلم بني ابن باديس منهجه وعلى العلم أنشأ تلاميذه وعلى العلم قاد سفينة التغيير إلى بر الأمان.

ومرجعية النزعة العلمية عند ابن باديس أسسها الإسلام الذي جعل لكل شيء مقدراً من قبل الخالق عز وجل، وله سنن كونية أودعها هذا الكون فلا استبدال ولا تأخر ﴿سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾² وغاية الإنسان هي إدراك هذه السنن، هذه الفلسفة التي انطلق منها ابن باديس في اعتبار العلم أساس كل عمل ناجح، فهو يقدم العلم على العمل ويقدم العمل على القول.

ويتضح أن العلامة ابن باديس مجّد العلم كثيراً ورفعته إلى أسمى الدرجات، فقد اعتبر الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وسيلة لبلوغ الهدف " كانت دعوته مبنية على الحجة والبرهان، فكان يستشهد بالعقل ويعتضد بالعلم ويستتصر بالوجدان "³. ويقصد من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد الأدلة والبرهان في دعوته ومجد

¹ سورة النحل: الآية 125

² سورة الأحزاب: الآية 62

³ _ عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث، قسنطينة، ط 1 1982 ص60.

العقل وأعتلى بالعلم، إلى درجات عظيمة ، فهو القدوة التي يجب الإقتداء بها فكان رافضا للجمود وداعيا إلى الاجتهاد.

لم تكن النزعة العلمية في منهج ابن باديس كلاما يقال في الخطب أو يرد في الدروس بل واقعا متجسدا من خلال مواقفه وآراءه العلمية والتي نذكر منها:

• رفضه للجمود ودعوته للاجتهاد.

• الغائية العلمية عند ابن باديس: لاسيما في الفقه فلا تأخذ الأحكام الفقهية

كمسلمات لا تدرك عللها وأسبابها، بل يبحث كل ذلك حتى تتجلى الحكمة من

الحكم فتدرك الأبعاد والدلالات وهذا هو " المنهج التعليلي للفقه الإسلامي

المستخلص من روح الشريعة الإسلامية السمحاء المبنية على ربط الأحكام

بالحكم والعلل والآداب تفضلا من الشارع الحكيم ورأفة منه بعباده"¹

• ينطلق ابن باديس في منهجه من قاعدة معرفية بواقع بيئته من جهة ولمعرفة

التجارب التربوية السابقة والمعاصرة ومدى توافقها مع توجهه وإمكانية الاستفادة

منها من جهة أخرى.

• ربط ابن باديس بين العلم كآراء وتعاليم ونظريات وبين الواقع كموضوع للمعالجة

ويتجلى ذلك في دروس التفسير حين يسقط الأحكام المستخرجة من الآية على

الواقع المعيشي.

¹ محمد عيسى: خصائص الفقه الباديسي، مجلة الموافقات / مرجع سابق ص548

بناء على ذلك يظهر جليا عمق النزعة العلمية المعرفية في منهج ابن باديس "وتجدر الإشارة إلى أن يوم 16 أبريل في كل عام هو "يوم العلم" اعترافا بالبعد العلمي كأبرز بعد في فكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس"¹.

النزعة الواقعية: قد تعرّف الواقعية بأنها الموضوعية في رسم معالم التصور النظري بحيث يتضمن إمكانية تحقيقه في الواقع الميداني، وقد اعتبر ابن باديس النظر إلى الواقع لا يعني أن نتركه كما وجدناه، بل لابد من مواجهته و مراعاته كعنصر أساسي في معادلة التغيير، وهذه المراعاة لا تعني الخضوع لمتطلباته، فاذا قبلنا الواقع كما هو لن يكون هناك أي تغيير، فقد تكون الثورة على الواقع نوعا من أنواع مراعاة الواقع. وإذا أردنا أن نبحث عن الواقعية في منهج الشيخ عبد الحميد ابن باديس يجب أن نستحضر الواقع الجزائري بكل أبعاده السياسية والثقافية والاجتماعية والدينية غداة انطلاق ابن باديس في مشروعه الإصلاح.

لقد فقه ابن باديس الواقع الجزائري بكل تناقضاته واختلالاته بل وأقام منهجه انطلاقا من الواقع، "قبل إنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1928 دعا الطلاب العائدين من الزيتونة والشرق الغربي لحضور ندوة يتدارسون فيها أوضاع الجزائر وقدم ابن باديس تصوره للإصلاح ممثلا في خطة تتضمن النقاط التالية:

● إنشاء المدارس الحرة لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية.

¹ عمار بن مزور: عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دار الأمل، الجزائر، بدون طبعة 2010 ص82

- الالتزام بإلقاء دروس الوعظ لعامة المسلمين في المساجد الحرة.
- الكتابة في الصحف والمجلات لتوعية طبقات الشعب.
- إنشاء النوادي للاجتماعات.
- العمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب الجزائري، فهذا التشخيص الذي قام به ابن باديس مبني على قراءة دقيقة للواقع الذي هو حصيلة عمل ممنهج قام به الاستعمار منذ دخوله إلى الجزائر مستهدفا إفراغ الشخصية الجزائرية من محتواها الديني واللغوي و الحضاري.¹
- فالنزعة الواقعية متجذرة في التصور الباديسي الإصلاحى ونلمسها كذلك من خلال البرامج والمواقف المشكّلة لمنهجه والتي من أبرز مظاهرها:
- _الابتعاد عن السياسة:** هل منهج ابن باديس يتحاشى السياسة فعلا؟ أم حاجة في نفس يعقوب أملتها مقتضيات الواقع؟
- يرجع الشيخ محمد خير الدين وهو من رجال الجمعية ذلك لسببين هما:
- العمل السياسي الواضح يجعل نشاط الجمعية معرضا لبطش الفرنسيين في المهد قبل أن يشتد ساعد الحركة فتموت قبل أن تنضج ثمارها.

¹ _ بن مزور عمار: عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، دار الامل ، الجزائر، (د ط) 2010، ص85.

• نشر الوعي الديني بكل أشكاله وعدم الصدام مع السلطة حتى لا يعرقل هذا

العمل وخاصة مع السنوات الأولى لنشأة الجمعية.

مغالبة الاحتلال وتجنب الصدام معه:

أدرك ابن باديس أن الاستعمار متحكم في الرقاب قوي ببطشه وسلطانه ومن الحكمة مدهنته واتباع سياسة الملاينة حتى يؤمن شره ولا يجهض سعيه للإصلاح فسلك سبيل المطالبة السلمية، وذلك بكتابة المقالات في جرائد الجمعية واستنهاض همم العلماء لتشكيل رأي ضاغط ضد الإدارة الفرنسية الهادفة إلى عرقلة تعليم الإسلام والعربية، هذا الأسلوب في التعامل مع الاستعمار مكن لابن باديس بأن يأخذ من فرنسا ما كان يريجه، وعدم إصدار أمر بتوقيفه برغم المضايقات الكثيرة، وفي المقابل لم تحصل فرنسا من ابن باديس على شيء يذكر، كبيرا أو صغيرا، قليلا أو كثيرا وهو القائل: "لو قالت لي فرنسا قل لا إله إلا الله ما قلتها، عندما نقرا للشيخ هذه الجملة ندرك أي فكر هذا الذي حمله ابن باديس"¹

الانفتاح على الداخل: من مظاهر واقعية ابن باديس أنه لم يكن معزولا على مجتمعه بل تفاعل مع الجميع، مع المحافظة على ثوابته وخصوصيته المنهجية، وفي المقابل الانفتاح دون الذوبانفي الآخر، فلقد حدد موقفه من الأحزاب بأن وقف منها جميعا على

¹ _ عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1 قسنطينة، مكتبة البعث، نقلا عن مقالة عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند ابن باديس، مجلة الموافقات، العدد السادس، السنة السادسة.

مسافة واحدة لا يقترب ولا يبتعد إلا بمقدار اقتراب وابتعاد هذا الحزب أو ذاك من الحق، ومد يده لخصومه من الطريقة الذين دبّروا له محاولة اغتيال بقسنطينة، بل عمل على احتواء واستيعاب بعض الحركات الإصلاحية المتشددة التي كانت تهاجم بعض العلماء وتكفر بعض رؤساء الزوايا وتصفهم بالردة ومنهم الشيخ الطيب العقبى الذي تأثر بالحركة الوهابية.

_الانفتاح على الخارج:

لقد كانت برامج ومشاريع الرجل وخطبه ومقالاته متزنة عقلانية بعيدة عن التشنج والعواطف وردود الأفعال فقد أدرك طبيعة الترابط والتداخل الحضاري بين الشعوب وما ينجر عنه من تأثر وتأثير في مجرى الأحداث السياسية والدينية والثقافية على وجه الخصوص ففي الوقت الذي كان فيه حديث الوحدة السياسية بين الأقطار العربية والإسلامية تسيل اللعاب تستثير شهية الأدباء والكتاب يكتب بصراحة فيقول: "الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها، فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول"¹

ثالثا: المرحلية

المرحلية تعني الفهم الدقيق لما يراد إنجازه ومن ثمة القدرة على ترتيب الأولويات وربط كل ذلك بمتغيرات الزمان والمكان، وأول ما يستوقفنا في منهج ابن باديس هو ابتعاده عن السياسة في بلد تكون فيه المطالبة بالاستقلال من أولى أولوياته، وهذا القرار ليس قناعة منه لكنه "تكتيك" فرضته الضرورات المرحلية، إذ لم يكن ابن باديس سياسيا فحسب بل مناضلا ثوريا بامتياز، فقد قال الشيخ عبد الحميد ابن باديس

¹ محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، ط2 الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979

لحزب النجم في الحديث عن الاستقلال": "وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف وما غاياتنا من عملنا سوى تحقيق الاستقلال".¹

لقد ترجم ابن باديس فقهه للمرحلية- كعامل أساسي من عوامل نجاح العمل الإصلاحي- في عدة مجالات منها:

• تفسيره للقرآن الكريم: استغرق خمسة وعشرين سنة وأن دل على شيء إنما يدل على طول النفس.

• ولوج الساحة السياسية.

• التدرج في مناهج التعليم في المدرسة الباديسية، فهي عكس الكتابات تقوم على منهج تربوي واضح وفق برنامج زمني أسبوعي شهري وسنوي مدروس.

رابعا /النزعة العملية:

تلازم الجانب النظري والجانب التطبيقي في منهج ابن باديس، فما من فكرة يدعوا إليها إلا ويبحث لها عن واقع يجسدها، ويترجمها في الواقع العملي وتجلت فيما يلي:

• انصرافه عن تأليف الكتب- رغم سعة اطلاعه وغزارة علمه- وذلك لصالح العمل الميداني من أجل التغيير والإصلاح فقد قال " : إن الشعب الجزائري اليوم ليس بحاجة إلى تأليف الكتب بل هو بحاجة إلى تأليف الرجال"² ويؤكد على نوعية التكوين قائلا: "إننا لا نريد أن نكون من تلامذتنا اليوم علماء

¹ رايح تركي: ابن باديس رائد التربية والتعليم في الجزائر، المرجع نفسه ص89

² محمد صالح الصديق: الامام عبد الحميد ابن باديس، آراءه ومواقفه، ط1 الجزائر، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007 ص82

بحث وفلسفة وآداب وخيال... لكن نريد قبل كل شيء أن نكون منهم بناء نهضة، ودعاة إسلام وجهاد.¹...

ومن مظاهر النزعة العملية عند ابن باديس في منهجه:

- النقد والاجتهاد:

فلاجتهاد الحقيقي لا يقوم إلا بالنقد البناء لأحكام ومفاهيم سابقة لم تعد متوافقة مع مستجدات العصر ومتطلبات المرحلة فكانت أول جريدة اسمها "المنتقد" ثم "الشهاب" التي خلفتها والاجتهاد في الفقه الإسلامي فهو يراعي المصلحة حتى وإن وجدت خارج الإطار المالكي - مذهبه الرسمي -

البعد العملي في تفسير ابن باديس للقرآن الكريم:

بالرجوع إلى كتابه في التفسير المعرفي (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) نلاحظ أنه بعد شرح الألفاظ وعرض التراكيب اللغوية وبسط المعنى العام للنص القرآني يخصص مساحة للتطبيق العملي للنص القرآني في الواقع وكثيرا ما يتخذ لذلك عناوين مثل: تطبيق، تبصير وإرشاد واستنهاض، سلوك وتبويه... إلخ.

-البعد العملي للنشاط التعليمي عند ابن باديس:

غاية العلم عند ابن باديس أن تتعكس آثاره على حياة الفرد والمجتمع فيقول: "إن الخلق القويم لا بد أن يكون نسخة تطابق الباطن مع الظاهر".²

خامسا: النزعة الوجدانية

كان هدف فرنسا هو تفكيك الوحدة الجزائرية، لكن ابن باديس تصدى لهذا الهدف وحطم مشروع فرنسا، الهادف لتفتيت وتقسيم الجزائريين " قد رأى ابن باديس بثاقب نظرته أن الخطوة الأولى في سبيل تحرير الجزائر من الاستعمار تبدأ بالوحدة

¹ محمد صالح الصديق: الامام عبد الحميد ابن باديس، آراءه ومواقفه، ط1 الجزائر، دار الامل للطباعة والنشر، والتوزيع، 2007 ص71

² تفسير ابن باديس: نقلا عن رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس، رائد النهضة والإصلاح في الجزائر، ص242

الوطنية والقومية ، لذلك عمل على إيجاد هذه الوحدة ، وكانت من جملة أهدافه التربوية والإصلاحية ، فسعى إلى توحيد الشعب كله وراء هدف واحد ومحدد على أساس من رابطة الدين والعروبة" ، فجاء موقفه صارما إزاء قضية وحدة الشعب الجزائري، فلم يراهن ولم يساوم ولم يرضى بالرضوخ لابتزازات ضعاف النفوس أصحاب الواقعية الذرائعية وصرخ عاليا:

شعب الجزائري مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له رام المحال من الطلب

وتصدى لمحاولة تفريق الجزائريين على أساس العرق أو اللغة من خلال برامج الجمعية التعليمية التي تقوم على دعائم العقيدة الإسلامية وغرس الثلاثية الخالدة (الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا) ولم يقتصر البعد الوحدوي في فكر ابن باديس على الشأن الجزائري بل تعداه إلى الشأن العربي الإسلامي.

سادسا: النزعة الإنسانية

في هذه النقطة يدعوا ابن باديس الى التخلق بالأخلاق الفاضلة، رغم حالة الاستعمار التي تولد الكراهية والرغبة في الانتقام، فإننا لا نلمس في منهج ابن باديس سوى معاني التسامح والحب لبني الإنسانية على اختلاف ألوانها وأجناسها وعقائدها، دون التفريط أو التقليل أو التنازل عن الحقوق الوطنية ، والدارس لمحتوى المناهج التعليمية في مدارس جمعية العلماء المسلمين يكتشف الجرعات التي تضمنتها المادة العلمية المقدمة للطلبة من أجل توسيع آفاق تفكيرهم التي تستوعب معاني التعايش والتسامح واحترام الآخرين، إذ من أهداف التربية عند ابن باديس " خدمة الإنسانية ونشر محبتها بين تلامذته في جميع شعوبها وأوطانها...فهو لا يهدف من وراء

النهضة التربوية والفكرية التي أحدثتها في الجزائر إلى نشر التعصب أو الكراهية بين الجزائريين ضد الأجناس والأديان والثقافات الأخرى غير العربية والإسلامية¹.

المطلب الثالث: أبعاد منهجه.

أولاً: البعد العقدي :

لقد بين الإمام ابن باديس من خلال مشروعه الدعوى الإصلاحية، الأبعاد الوظيفية لمنهجه، أولها البعد العقدي حيث أدرك أن إصلاح المجتمع لا يكون إلا بإصلاح الفرد الذي لا بد أن يبدأ بإصلاح نفسه أولاً، وذلك بترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية في القلوب، فصحة العقيدة عند ابن باديس شرط في سلامة البناء وفي المقابل فإن فساد العقيدة أساس كل شر يجنيه الإنسان على نفسه وعلى مجتمعه، وتنبه إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم لتحرير الدين الإسلامي من الأمور الدخيلة التي لصقت به بفعل فاعل بحيث يقول عنه رابح تركي في كتابه:"كان يتبع في الاستدلال على وجود الله ووحدانية وصفاته منهج القرآن الكريم"².

ويظهر البعد العقدي بجلاء من خلال تفسيره للقرآن وللحديث، حيث اتخذ من القرآن مصدراً واحداً في تحديد طبيعة القضايا المدروسة، ثم يستدل عليها باستدلال القرآن نفسه ليصل على نفس الحقائق التي وصل إليها القرآن وأقرها.

إن المتأمل في منهج" ابن باديس "يدرك حرصه على سلامة صدور المسلمين وإصلاحها، لأنها النواة الأولى لصالح المجتمع، فالعقيدة هي المنطلق الثابت الذي لا يتغير بتغير الزمان والمكان، ومادام الأمر كذلك، فلا مناص من الرجوع إليه في كل الأمور، فهو يرى أن الأمة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة من الانحطاط، إلا حين فقدت القيادة الرشيدة في الدين، تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي،

¹ رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع نفسه، ص275

² رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة والإصلاح في الجزائر المرجع نفسه، ص200

وشعبة من قبس النبوة، والتي تتبثق عنها جماعة المسلمين، حينما يضرب الفساد وينخر في أصول مجتمعهم، فإذا وجدت الأمة هذه القيادة وجدت نفسها، ومن وجد نفسه وجد الحقيقة.

فما أحوج الإنسانية اليوم إلى القرآن وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال وقد عجز العقل عن هدايتها وحده كما عجز قديما عن هدايتها، لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه إن أدركه الوهن، ويصلح خطأه إذا اختل ميزانه¹

ثانيا: البعد التربوي :

أولى ابن باديس للبعد التربوي أهمية بالغة في مشروعه الإصلاحية، وهذا ينسجم مع فلسفته في التغيير، هذه الفلسفة التي تجعل الإنسان بأفكاره وتصورات ومبادئه وقيمه، العنصر الأهم في معادلة الإقلاع الحضاري، ولا سبيل لإحداث التغيير الداخلي لدى الإنسان سوى التربية والتعليم، لذلك كرّس حياته خدمة لهذا الهدف، ولذلك يحرص على تحديد أسس التربية ممثلة في الكتاب والسنة، فهما القادران على إنتاج الإنسان المسلم المدرك لذاته، المنتمي لحضارته القادر على صناعة العقل الحضاري .

إن التجربة الباديسية نجحت كثيرا في توظيف البعد التربوي في إحياء الشعب الجزائري دينيا وثقافيا، بعد أن أدركه الموت الفكري والحضاري، بسبب جهود الاستعمار الهادفة لتجهيله ثقافيا وتهميشه سياسيا ومسحه حضاريا، فقد أسهم ابن باديس كثيرا في المجال التربوي، كإنشاء الكتاتيب القرآنية، والمدارس والزوايا والمساجد فقد أعاد لهذه الهيئات وخاصة المسجد مكانته الروحية والتربوية و النفسية

¹ _ عبد الحميد ابن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار الكتب العلمية،

والتوجيهية التي كان يتمتع بها في عهد الإسلام الأول يوم كان محلاً للعبادة، ومكانا للتعليم، ومركزاً للتوجيه الروحي، وداراً لتجهيز جيوش الله، وهو الذي رابط في الجامع الأخضر قسنطينة أكثر من ربع قرن، يعلم ويربي الشباب في النهار، ويعظ ويرشد ويفسر القرآن في الليل.

ونظراً لأهمية البعد التربوي عند ابن باديس كونه جمعية التربية والتعليم الإسلامية.

حيث قال: "بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء وبنات المسلمين تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم"¹.

فقد اعتبر ابن باديس التربية سبيلاً لتطور الأمم من تخلفها وجهلها وركودها الفكري والعقلي لذلك اعتمد على إصلاح النفوس واعتبرها عاملاً مهماً لتحقيق التقدم والتخلص من الجهل المغروس فيها تطهيراً للقلوب من البدع والضلالات التي شوّهت أفكار المسلمين "فصالح النفس هو صلاح الفرد وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس"² ويزيد ابن باديس القضية وضوحاً حين يبين كيف يكون تقويم الأخلاق فيقول: "وصلاح القلب بمعنى النفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، إنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة فإذا صلحت النفس هذا الصلاح صلح البدن كله بجريان الأعضاء كلها في الأعمال المستقيمة"³

ثالثاً: البعد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي.

لقد كان الإمام ابن باديس يتحرى الأخلاق دائماً في تربية الجيل خاصة فئة الشباب المعول عليه في التقدم الحضاري، وقد كان يتمثل فيهم الطهر والفضيلة

¹ نشرة جمعية التربية والتعليم الأساسية: العدد الأول نقلًا عن رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص 145.

² رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة في الجزائر، المرجع نفسه، ص 356

³ _ رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص 358

والخير، وكان يهدف إلى تربية ألسنتهم على الصدق وقول الحق، وهناك ترابط وثيق بين الجانب الاجتماعي والأخلاقي والسياسي، فكرا وسلوكا.

فالفكر السياسي الإسلامي في نظره هو " العمل على إرساء العدل الشامل دون تمييز بين البشر، وإزالة مظاهر العدوان والظلم والاستضعاف في الأرض"¹ وبهذا هو يفرق بين السياسة في الفكر الإسلامي والسياسة في الفكر الغربي، الذي لا يقيم للأخلاق وزنا، وهذا ما تذهب إليه الفلسفة الميكانيكية.

لقد خاطب ابن باديس الفرد الجزائري في جريدة الشهاب يبث فيه الوعي ويحفزه على مواكبة العصر حتى يصل إلى درجة من الرقي والحضارة فكريا وماديا فقال:

-هاك وصايا نافعة مختصرة على وجه الإجمال وسيفيضها عليك مختصرة على وجه التفصيل.

-هاك آدابا تقتاضها إنسانيتك، ويفرضها عليك دينك، وتستدعيها مصلحتك في هذه الحياة، هاك ما إن تمسكت به كنت إنسان المدنية ورجل السياسة وسيدا حقيقيا يرمق من كل بعين الاحترام والتعظيم.

-حافظ على صحتك فهي أساس سعادتك وشرط قيامك بالأعمال النافعة لنفسك وغيرك.

-حافظ على نور عقلك فهو النور الإلهي الذي منحه لتهدي به إلى طريق السعادة.

-حافظ على مالك فهو قوام أعمالك فاسلك كل سبيل مشروع لتحصيله وتنميته.

-كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارك وفي صناعتك وفي فلاحتك

وفي تمدنك، أحذر من التوحش في المدنية... الخ²

¹ عبد الحميد ابن باديس: دعوة جمعية العلماء للمسلمين الجزائريين واصولها، الشهاب، ص 177

² عبد الحميد ابن باديس: أيها المسلم الجزائري، مجلة الشهاب، السنة الثانية، العدد 49 1926

فالإمام " ابن باديس " يولي أهمية كبيرة للتربية العلمية للعقول وضرورة الاستفادة من كل العلوم وفي كل المجالات منها الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، بل يجب على الإنسان أن يعمل على تطويرها وتحسينها.

نلاحظ هذه الأبعاد جلية في الممارسة الفعلية لمشروعه في الواقع من خلال تأسيس المدارس والنوادي الثقافية، والمجلات الأدبية والسياسية، ومحاربة الأمراض الاجتماعية ومحاربة التجنّس وتكوين دستور كامل في الإصلاح الديني والعلمي والوطني.

أما في مجال السياسة فقد كانت له وسائل وأفكار جد عميقة وناجحة في تحسين وضعية الأمة العربية الإسلامية " أما المشروع السياسي الذي جاء به فهو مشروع نهضوي وإصلاحي ليس للجزائر فحسب وإنما تتضمن تصورات وأفكاره ورؤاه معالجة قضايا المغرب العربي والأمة الإسلامية، مما يدل بشكل قاطع على نضوج أفكاره وعمقها الإنساني وواقعتها وعقلا نيتها"¹

وقد شخّص " ابن باديس " أمراض المجتمع الإسلامي وحدّد العلاج من الكتاب والسنة، بحيث يرى أن القرآن الكريم هو العلاج الوحيد الذي ينقذه مما يتخبط فيه من محن وانحرافات خلقية وعقلية ونفسية.

فالقرآن هو الذي كوّن من قبل مجتمعا عظيما، سليم العقل والضمير والوجدان، قوي الجسم والخلق والإرادة، وبالعودة إليه يمكن إنقاذ هذا المجتمع من كل ما يعاينه، ودفعه إلى طريق العزة، لمصارعة أعداء الاسلام، وابن باديس لم يبق مكتوف الأيدي أمام الأوضاع الاجتماعية البالية، بل كان يبذل ما بوسعه وكان يحرك كل طاقاته من أجل تحسين وضع المجتمع الجزائري" إن ابن باديس لم يكن المفكر الذي ينظر

¹ _ ياسين توفيق خلف: العوامل المؤثرة على الفكر السياسي للشيخ عبد الحميد ابن باديس، م 9 العدد 33

لمجتمعه من برج عاج بل كان الرجل الحركي الذي تحرك طاقاته الواسعة جماهير شعبه من الحالة التي كان عليها"¹.

رابعاً: البعد النفسي.

لقد أعطى الإمام" ابن باديس "في منهجه العلمي في الإصلاح، للجانب النفسي أهمية كبيرة، بل على أساسها تكون تربية الجيل المعد للثورة التحريرية الكبرى، والذي سيتولّى مسؤولية قيادة الأمة حضارياً بنفسية مستقرة، وروح عالية قابلة للاستشهاد في سبيل الله، من أجل رفع راية الحق .

فالممارسة الميدانية كانت بكل صدق وإخلاص، موضحة الجانب النفسي بداية بانطلاق الكفاح المسلح بكلمة الله أكبر، إلى تسمية المحاربين بالمجاهدين، إلى تسمية الموتى بالشهداء، إلى القسم على المصحف قبل الانضمام إلى جيش التحرير، إلى عقد الملتقيان بالمساجد ومالها-المساجد -من دور في تقوية العزيمة وهوان النفس في سبيل الشهادة، إلى تقوية رابطة الأخوة والإيثار من خلال توسيع دائرة فرع الأوقاف، إلى إصلاح ذات البين من خلال فرع القضاء، إلى إبراز الأخلاق السامية كالشجاعة والرافة والتسابق إلى التضحية سلوكاً وعملاً وممارسة.

إن لهذا البعد النفسي والروحي أثراً كبيراً في تحويل ضعف الثورة عدة وعدداً، إلى قوة معنوية تجعل الجميع يواجه قوة العدو الضخمة، بصمود حتى يصاب العدو بالفشل. لقد ربّأ" ابن باديس "في نفوس الشباب الدفاع عن مقدسات الدين والوطن من ثوابت كالدين، واللغة والعرض، والكرامة.

وهذا ما نجده في قول شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا

وفي الدار جمعية العلماء تغذي العقول بوحى السماء
وتهدي النفوس الصراط السوي وتغرس فيها معاني الفداء.

¹ _ دراجي محمد: عبد الحميد ابن باديس في عيون معاصريه، عالم الأفكار الجزائر ط1 2008 ص11

فمنهجه مبني على أساس علم النفس، ومعلوم أن التربية تطبيق لنظريات علم النفس، وبيّن لنا أن المعلم يحتاج إلى معرفة نفسية المتعلمين وفهمها والنزول إليهم والأخذ بأفهامهم إلى الهدف الذي يرمي إليه حسب درجاتهم واستعداداتهم¹.

خامسا: البعد الاقتصادي.

لقد كان الهم الاقتصادي حاضرا في مشروع ابن باديس الإصلاحية على مستوى الفكر والعمل، فهو الذي كتب: "فإذا أردنا اليوم أن نفتبس منهم كما اقتبسوا منا، ونأخذ عنهم كما أخذوا عنا، فعلينا أن نخالطهم- يقصد الفرنسيين- في ديارهم، حيث مظاهر مدنيتهم الفخمة، في مؤسساتهم العلمية والصناعية والتجارية، في أحزابهم على اختلاف مبادئها، في جمعياتهم على اختلاف غاياتها، في عظمائهم أصحاب الأدمغة الكبيرة التي تمسك بدفة السياسة وتدير لولب التجارة، وتسير سفينة العلم.

إن حث ابن باديس على فهم وولوج عالم الاقتصاد والتجارة، لم يكن نظريا أو مقتصرًا على جانب التبرع ودعم الجمعيات الخيرية، بل تعدى ذلك إلى تكوينه وتأسيسه "جمعية تجار قسنطينة" عام 1934/1353 هـ لما رأى سيطرة المستوطنين على التجارة والصناعة والزراعة، وتفاعل دورها لتصبح فيما بعد، النواة التي انخرط فيها العديد من التجار، بعد الحرب العالمية الثانية، ولقد كان لها نشاط اقتصادي بارز لفت انتباه الإدارة الاستعمارية. "لقد حث ابن باديس على العمل كوسيلة لكسب الرزق الحلال ولتنمية الاقتصاد، كما علم الشعب الجزائري أن يقبلوا المعاناة ولا يبيعوا أنفسهم من أجل فتات الخبز الذي يرميه لهم الاستعمار، كما حاول تربيته على الأخلاق الفاضلة التي تدعو إلى الحفاظ على الأرض والممتلكات وعدم التبذير والإسراف وهو من بين الاقتصاديين الذين يرشدون الناس إلى الحفاظ على ممتلكاتهم وأموالهم والى حسن استعمالها واستثمارها في خدمة المجتمع والاقتصاد ويعتبر طلبها والاجتهاد في كسبها واجبا ولكنه يدعو إلى الاعتدال في انفاقها"²

¹ عمار الطالبي: آثار ابن باديس، المرجع نفسه، 110

² _ بوصفصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وعبد الحميد البني باديس، المرجع

نفسه، ص 415

المبحث الثاني: المنهج الباديسي في جانبه التطبيقي

المطلب الأول: أساليب المنهج الباديسي

أولا/الوعظ والإرشاد:

ما يميز ابن باديس عن غيره من المصلحين أنه لا يعدم الوسيلة المتاحة لتحقيق الهدف مهما كانت صغيرة ولا يستصغرها لكن حسبه في ذلك أن يحسن استغلال المتاح الممكن فلا يزدريه ومن ثمة يزهد فيه طلبا للمستحيل.

ويتضح من خلال منهجه أنه يستهدف إصلاح النفوس والقلوب سبيلا لإصلاح

الفرد انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾¹

وإصلاح القلوب والنفوس يتوقف على اقتناعها وإيمانها بالمبادئ والقيم

الإصلاحية، والإقناع لا يكون بمخاطبة العقل فقط بل بمخاطبة الوجدان "فمرمى الإقناع

الخطابي ليس هو الإلزام والإفحام فقط، بل حمل المخاطب على التسليم، وجعله يتبنى

الفكرة التي يدعو إليها الخطيب ويتقدم لفداها بالنفس والنفيس عند الاقتضاء ولا يكون

ذلك بالدلائل العقلية تساق جافة، ولا بالبراهين المنطقية تقدم فحسب بل بإثارة العاطفة

ومخاطبة الوجدان"²

كان الوعظ والإرشاد من أهم أدوات المنهج الباديسي، وهو أسلوب قديم من أساليب

الدعوة وأداة من أدوات التغيير "اعتمده ابن باديس كطريقة ناجعة للمعالجة النفوس التي

أفسدتها البدع والخرافات ولوثتها الأباطيل وعشّشت فيها الأفكار المنحرفة والاعتقادات

البالية، حيث يعمد الى اقتلاع كل ذلك الركाम الفاسد من آثار الانحطاط والعهد

الاستعماري المظلم ليحل محلّها المفاهيم الإسلامية الاصيلة والاعتقادات الصحيحة

¹ سورة الرعد: الآية 11

² عمار بن مزور: نافذة على فن الخطابة، تيزي وزو دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع 2006 ص43

والتصورات السليمة في محاولة جادة لإعادة تشكيل الإنسان الجزائري الذي كان يعاني من اختلال خطير في تركيبته النفسية التي غلبت عليه السلبية والكسل والتواكل واليأس القاتل الذي شلّ إرادته وأقعدته عن التفكير في مستقبل مشرق¹

يتحدّث ابن باديس عن أثر الوعظ والإرشاد في أوساط الجماهير فيقول: "بقدر تمسك الأمة بأسباب العلم، كان رفضها للجمود والخرافات والأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء والزوال حتى أصبح القطر الجزائري كله لا يكاد يخلو بيت من بيوته ممن يدعوا الى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها"².

بهذا الأسلوب استطاع ابن باديس أن يحدث تغييرا عميقا في نفوس الجماهير التي كانت تحضر دروسه المسجدية حيث عزّزها بالعلم وحصّنها بالأخلاق، وعبأ روحها بمعاني العزة والكرامة، وبعث فيها الحياة وحسّسها بالمسؤولية الحضارية الملقاة على عاتقها، ويقول البشير الإبراهيمي معبرا عن هذا الأسلوب: "الوعظ الديني هو رائد جمعية العلماء إلى نفوس الأمة، جعلته والصعاب والآن الجوامح وعليه بنيت هذه الأعمال الثابتة من إصلاح العقائد ونشر التعليم...والوعظ الديني هو الذي حركت به

¹ محمد زرمان: من معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس، المرجع نفسه ص454

² الشهاب: ج1 افريل 1936 ص41

الجمعية الهمم الراكدة وشدّت به العزائم الواهية واجتنتت به الرذائل الموبقة فكان معينها على غرس الإصلاح الديني وثنيت جذوره وامتداد أصوله وفروعه¹.

"من أهم وسائل الجمعية لنيل غايتها، تسمية من فيه الكفاءة من أعضائها وعآظا

مرشدين، لترسلهم على نفقتها إلى نواحي القطر"²

ثانيا/الأسلوب البرهاني الإقناع:

كان ابن باديس يربط في المسجد يمضي سحابة نهاره وجزئا كبيرا من ليله في التربية والتعليم والإرشاد والتوجيه والتكوين، فكان يلقي أكثر من عشرة دروس في اليوم والليلة يبديها بعد صلاة الفجر ولا يختمها إلا بعد صلاة العشاء، ولأنه كان يدرس العامة والخاصة، اختلف أسلوبه من العفوي البسيط الذي يخاطب به عامة الناس إلى البرهاني الإقناعي الذي يخاطب به الطلبة. لقد كانت حججه نصية عقلية، أي أنه يستدل بالنص الشرعي ثم يقرنه بالبرهان العقلي حتى يفهمها الآخر، وبعد مدة بدأت هذه الجهود الجبارة المخلصة تؤتي أكلها الطيب وتطرح ثمارها اليانعة حيث تخرّج على يد ابن باديس جيل جزائري صحيح العقيدة واضح الفكر يستدل على قضاياها من القرآن والسنة والعقل.

¹ الابراهيمى: عيون البصائر، الشركة وطنية للنشر والتوزيع، ج2 الجزائر، بدون تاريخ، ص314

² عبد الرحمن شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، بدون (ط س).

ثالثا/الأسلوب الحوارى الخطابى:

اتّبع ابن باديس الأسلوب الخطابى الحوارى لىوصل المعنى مباشرة، فتستقبلها الأذهان من نبعها الصافى لتطبقها فى الواقع مباشرة، ونتيجة الجهود المبذولة فى إصلاح التعليم استقامت الألسنة الناشئة وصحّت اللهجات فكان العلماء المسلمون يلقون الخطب بلغة سلسة واضحة يدركها الكبير والصغير، وكان الإمام ابن باديس يجب على أسئلة الطلبة بطريقة حوارية إقناعية.

لقد كانت الفتوى سلاحا بيد ابن باديس يواجه به الاستعمار الفرنسى بحيث أصل للشعب الجزائرى عقيدته بالقرآن والسنة وصرفه عن البدع والضلالات التى أدخلت على فكره، وقد نجح هذا الأسلوب أىما نجاح" وحسبه من المجد التاريخى أن تلامذته اليوم هم جنود النهضة العلمية، ألبستها الخطابة وأقلامها الكتابة وهم حاملو أولويتها"¹. رابعا/أسلوب القصص والقدوة الصالحة:

نقد أدرج ابن باديس الأسلوب القصصى قصد إنهاء الهمم وإيقاظ النائمين وتذكير الساهين وتشجيع المترددين وكان يختار لها عناوين تؤدى إلى الغرض وتحقق الغاية مثل "من خان قوما فليس منهم" "الخنساء وبنوها" "من أبطا به عمله لم يسرع به نسبه" "لا أثر للعبودية مع الأحرار" فاذا وصل نهاية القصة ثارت مشاعر القارئ سخطا على الظلم والظالمين وتأججت عزمته لتحرير الوطن من كل معتد أثيم. كما استعمل أسلوب القدوة الصالحة فى "رجال السلف ونساءه" قصد تثبيت أفئدة المؤمنين الجزائريين ليصبروا على المحنة كما صبر أولو العزم من قبل وليتمسكوا بما

¹ الحسنى محمد الهادى: المغرب العربى الكبير، دار المعارف، عالم الأفكار، الجزائر ط1 2007 ص64.

أراد العدو سلبه منهم وكانت النتيجة أن حبيت المبادئ السامية في النفوس وقويت العزائم في القلوب وصلبت الإرادات في الصدور، ويقول ابن باديس في جريدة الشهاب: "هذا باب جديد فتحناه في الشهاب أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونساءنا من سلفنا الصالح"¹، إذ يحرص ابن باديس على اختيار النماذج الإيجابية حتى تكون مثلاً يحتذى به ويعتمد في ذلك على الترغيب والرجاء.

"قتل حبل الرجاء قتل للنفوس، نفوس الافراد والجماعات وذلك ضد التربية، وبعث الرجاء إحياء لها، وذلك هو غرض كل مرب ناصح في التربية"²

المطلب الثاني: وسائل المنهج الباديسي

أولاً/التعليم: آمن ابن باديس بالعلم والتعليم وسيلة مثلى لإحياء الأمة ومقاومة القابلية للاستعمار، وهو أساس أي عمل إصلاحي يستهدف تغيير واقع المجتمع إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد، كذلك يقرر " لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماءهم لأنهم بمثابة القلب للأمة ولن يصلح العلماء إلا إذا أصلح تعليمهم."³

فالتعليم بأبعاده التربوية عند ابن باديس هو " حجر الأساس في كل عمل

بنائي، لذلك أعطاه كل جهده ووقته وجنّد له رفاقه وتلاميذه من العلماء الذين شذو

أزره وساعده في تنفيذ المشروع الذي صممه، واستنهضوا به همة الشعب ونخوته ليقوم

بإنشاء المدارس وتمويل المشاريع التعليمية"⁴.

¹ عبد الحميد ابن باديس: الشهاب، المرجع نفسه، ص1

² عبد الحميد ابن باديس: مجالس التذكير من أحاديث البشير النذير، المرجع نفسه، ص82

³ عمار الطالبي: آثار ابن باديس، مرجع سابق، ص101

⁴ عبد القادر فضيل: فلسفة ابن باديس في مجال التربية والتعليم، مرجع سابق ص52

والتعليم عند ابن باديس متعدد الفوائد فهو إلى جانب التربية التي يسديها للمتعلمين، يقوم أخلاقهم، وينير فكرهم، ويكسبهم القدرة على فهم الحياة، والسير في دروبها.

والتعليم عند ابن باديس أداة فعّالة لإعادة صياغة الإنسان، لذلك أولاه كامل اهتمامه وعمل بحرص على توسيع مجاله، ليشمل كافة الفئات العمرية إلى إيجاد جيل له من الوعي والإدراك ما يؤهله للمساهمة في تغيير الواقع المزرى الذي تعيشه الجزائر على كافة الأصعدة.

والتعليم في الفكر الباديسي ينقسم إلى قسمين:

1- التعليم المسجدي : لتوطيد العلاقة التلازمية بين المسجد كمؤسسة متعددة

الوظائف وبين التعليم كوظيفة أساسية من وظائفها، " إن المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام ... فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم¹."

لذلك انصرفت هذه الحركة الإصلاحية لبناء المساجد، التي تجاوزت مهمتها أداء فريضة الصلاة، بل تجاوزتها إلى نشر العلم وبعث الوعي واليقظة في الجزائريين،

¹ سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين: المرجع نفسه ص104

وكان التعليم المسجدي قبل ابن باديس مقتصرًا على الكبار دون غيرهم، ولم يكن سوى دروس عامة للوعظ والإرشاد، ولما باشر ابن باديس

التعليم المسجدي، ضم فئة صغار السن المعول عليهم في المشروع الإصلاحي يقول ابن باديس: "كان التعليم المسجدي في قسنطينة قاصراً على الكبار ولم يكن للصغار إلا الكتاتيب القرآنية، فلما يسر الله لي الانتساب للتعليم سنة 1913 جعلت من جملة دروس تعليم الصغار الكتاتيب القرآنية بعد خروجهم منها في آخر الصبيحة وآخر العشية، فكان ذلك أول عهد الناس بتعليم الصغار في قسنطينة."¹

2- / التعليم المدرسي : لقد جاء التعليم المدرسي مكملاً للجهود التي بذلت في التعليم

المسجدي، ورغبة من الإمام ابن باديس في توسيع نطاق دائرة التعليم وجه دعوة إلى الأهالي لبناء المدارس الحرة لتمكين أبنائهم من العلم والمعرفة، وقد تولى شخصياً مع رفاقه في حركة الإصلاح إنشاء أول مدرسة حرة بقسنطينة عليها اسم (مدرسة التربية والتعليم الإسلامية) والتي كانت بالفعل نموذجاً شجع الأهالي على الإقبال على إنشاء المدارس في مختلف أنحاء الوطن.

فغاية التعليم المدرسي عند ابن باديس ليست تكديس المعلومات في ذهن الطالب، وإنما إثارة فكره ووعيه، وتقويم أخلاقه فكانت المدرسة المكان المؤهل لتجسيد الفكر في الواقع.

¹ آثار ابن باديس: مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ج 4 ص 102

لقد أحدثت المدرسة الباديسية ثورة ضد أساليب التعليم التقليدية خاصة أسلوب التعليم عند الطرقية التي تعتمد على التقليد الأعمى لشيخ الطريقة أو الزاوية، وما ميّز ابن باديس عن غيره من العلماء أنه كان يعيش عصره بمفهومه الواسع، وبتحسّس مواطن الخلل والضعف، وببدي رأيه الناقد بكل جرأة، فأراه كانت وليدة الواقع ونابعة من احتياجات المجتمع، فقد انتقد طرق التدريس المتبعة في الواقع التي تحقق الهدف التربوي المنشود وهو إرجاع الضمير الإنساني المسلم إلى الحقيقة الإسلامية وهو يقصد مناهج التعليم في جامع الزيتونة التي درس فيها، وهو بهذا يتفق مع "محمد عبده" حين نادى بإصلاح التعليم، وركز على إصلاح الأزهر فقال: "فبقاءه متداعيا على حاله في هذا العصر محال، فإما أن يعمر أو يتم خرابه، وإنني أبذل المستحيل من أجل عمرانه"¹

لقد جعل ابن باديس من التعليم أقوى سلاح في وجه فرنسا، وإذا كان السلاح التقليدي يمكن العثور عليه ومصادرته، فإن سلاح العلم تتحسّسه ولا تلتمسّه، تخشاه ولا تراه، ومن هنا كانت خطورته التي لم تتفطن إليها فرنسا إلا بعد فوات الأوان وقد فتح المجال للمرأة منذ صغرها باعتبارها مرئية للأجيال والحارس الأول على قيمه الدينية والخلقية والقومية فحرص على تعليم البنات مجانا منذ الصغر بهدف إعداد

¹ الاعمال الكاملة لمحمد عبده: جمع وتحقيق وتقديم محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

ج3 1974 ص196

المرأة الجزائرية للقيام بدورها الرسالي في الأزمة الوطنية ، فخصّص لهن دروسا في المساجد بل هم بإرسال بعض الناجحات منهن إلى الخارج لإتمام دراستهن "نستطيع أن نقول إن ابن باديس قد أرسى مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم فهو يرفض التمييز بين المتعلمين على أساس الجنس فلا فرق بين ذكر وأنثى ولا تفاضل إلا بالتقوى"، فالمرأة عند ابن باديس هي الركيزة الأساسية لبناء مجتمع ناجح وتعليمها ضروري والتفريط فيه يترتب عليه إثم عظيم واعتبرهن شقائق الرجال ولا يقل تعليمهن أهمية عن تعليم الذكور " كان ابن باديس يدرك الدور الخطير الذي تقوم به المرأة في المجتمع لذلك اعتبر تعليمها واجبا اجتماعيا يتحمله الأولياء والعلماء على حد ساء وأن اي تفريط منهما في القيام بهذا الواجب يترتب عليه إثم كبير¹ "

ثانيا : الصحافة

تعتبر الحركة الإصلاحية الباديسية سبّاقة إلى توظيف دور الصحافة لنشر الفكر الإصلاحي، والانتصار لقضايا الأمة العادلة، وقد وجد ابن باديس ضالته المنشودة في الصحافة باعتبارها " وسيلة لمحاربة الأوضاع الفاسدة والتصدي لانتقاد سلوك الإدارة الفرنسية، وجمود بعض المشايخ وتبينه الناس إلى ما أحدثه شيوخ الطرق من بدع وضلالات لا تنتمي إلى الدين أو المجتمع"² فكان الدافع إلى دخول

¹ _ عواريب لخضر بن العربي: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية المرجع نفسه، ص 29

² عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان: امام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، مرجع سابق، ص 38

عالم الصحافة هو الرغبة في إيصال أفكاره إلى أكبر عدد ممكن من الناس ودوره في تطوير الصحافة مشهود له بلا منازع، فهو " من بناء الصحافة العربية الحديثة في الجزائر، ومن الذين أرسو دعائمها على أسس متينة من الإيمان بالمبدأ والوطنية والتقاليد الصحفية العالمية، وعملوا على رعايتها والسير بها في طريق النمو والازدهار رغم الاضطهاد العنيف الذي كانت تتعرض له الصحافة العربية من طرف الإدارة الاستعمارية في الجزائر"¹

وفي سنة 1925 أصدر الشيخ ابن باديس جريدة المنتقد ترأس تحريرها بنفسه، كانت الجريدة لسان حال الشباب الجزائري المؤمن بالفكر الإصلاحية، فكانت " شديدة الانتقاد لتصرفات الإدارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائري، قوية الحملة على البدع والخرافات والأوضاع الطرقية المتردية."²

ولجرعتها وتوجهها العقائدي أوقفت من قبل السلطات الاستعمارية، فصدرت في نفس العام الجريدة " الشهاب " وتعتبر من أهم المراجع التي تؤرخ للتجربة الإصلاحية وكان لها صدى وتأثير في العالم الإسلامي وشهد بفضلها كبار العلماء والمصلحين أمثال " حسن البنا " وغيره.

¹ رباح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر، مرجع سابق، ص 189

² رباح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، نفس المرجع: ص 189

وقد أسس "ابن باديس" العديد من الجرائد والمجلات مثل جريدة السنة وجريدة الشريعة والصراط السوي والبصائر ففي كل مرحلة توقف قوات الاحتلال اصدار الجريدة.

مما تقدم تبين مدى شراسة المعركة التي خاضها ابن باديس في ميدان الصحافة، فلم يهن ولم يستسلم قبل الاحتلال وتعطيله المتكرر للجرائد التي أسسها باسمه أو باسم الجمعية، وما ذلك الإصرار والتحدي إلا دليلا على إيمان ابن باديس بدور الصحافة في نشر الفكر الاصلاحى على أوسع نطاق وبالفعل كانت الصحافة من أمضى الأسلحة التي نشرت بها الحركة الإصلاحية أفكارها وتصدت بها لخصومها، وكشفت من خلالها زيف الاستعمار وأعوانه، فقد فرض الشيخ ابن باديس نفسه على عالم الصحافة في فترة العشرينات والثلاثينات، وصار رائدا من وراة الصحافة العربية الحديثة، لهذا يسجل الأستاذ قسوم إعجابه به "ما أبرع ابن باديس حين اهتدى الى وسيلة الإعلام فقد سلاحا فعالا أساسيا في بلورة مطالب الجمعية"¹

ثالثا: الرحلات والزيارات: إن الرحلات والزيارات التي قام بها ابن باديس ورفاقه إلى مختلف مناطق الوطن كانت مسحا ميدانيا لواقع الأمة بكل تفاصيله من جهة، ونشرا للفكر الإصلاحى بوضع لبناته الأولى من جهة أخرى، ففي زمن انعدام وسائل الاتصال كانت هذه الزيارات الميدانية أشبه بالغيث الذي يحي الأرض الموات، فالشعب

¹ عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسى عند ابن باديس، مجلة الموافقات المرجع نفسه ص296

الجزائري بفطرته السليمة أشبه بالأرض الطيبة التي تحتضن البذرة وترعاها، فغرس "ابن باديس" أفكاره الإصلاحية وسقاها بإخلاصه وكده فكانت الثمار طيبة وبرز نورها بعد حين.

كانت الدوافع لهذه الرحلات واضحة وهي الرغبة في الوقوف على واقع المجتمع دينيا واجتماعيا وثقافيا، حتى يتمكن من تشخيص الداء ومن ثمة وصف الدواء، أما الأهداف فهي واضحة جلية مختصرة فهي الإصلاح والتجديد والنهضة وكان في كل رحلة من رحلاته يجس نبض المناطق التي يزورها ليحدد الداء ويصف الدواء، فمثلا في رحلته الأولى إلى الشرق الجزائري ركز على الدروس في المساجد وحتى الحوانيت لنشر دعوته وبث فكره الإصلاحي وكذلك في الأسواق، فلم يكن ليفوت أي فرصة في أي مكان كان إلا واستغلها في الدعوة والإصلاح والوحدة والتعاون وبناء المساجد، وفي رحلته الثانية إلى منطقة القبائل التي كانت منطقة محصنة ضد الاختراق الإصلاحي فقد اكتفى بالتعريف بأهداف جمعية العلماء المسلمين وبمجلة الشهاب وحث الناس على قراءتها لتكون جسرا للتواصل بين سكان المنطقة والمشروع الإصلاحي.

وفي رحلته الثالثة إلى المغرب الجزائري حرص على تبديد الصورة الظلامية التي رسمها شيوخ الطرق الصوفية عن الجمعية رغم عدم الصدام بينهم أثناء الزيارة وهذا

يكشف عن إقبال الناس على التعليم والمساجد ومعرفتهم لحقيقة الجمعية وأهدافها من أفواه رجالاتها، فأذاب ابن باديس الجليد بين الطرفين.

وفي رحلته الرابعة إلى الصحراء الجزائرية تجلت شخصية ابن باديس القيادية في مواجهة الوالي الذي أغلق أبواب المساجد في وجهه بحزم وعزم وذكاء وحنكة وفي رحلته الخامسة إلى الجنوب الجزائري فقد تصدى لكثير من الآفات الاجتماعية فقد حلّ الخلافات والنزعات وردّ المظالم إلى أهلها¹.

"بقدر ما صورت رحلات ابن باديس موافق وكشفت حقائق، فقد عكست حس رحالة وني يلازمه هم ونه في اغلال الاستعمار اين ارتحل وحيث حل"²

رابعاً// النوادي:

أصبحت النوادي نقطة التقاء المثقفين الذين تسرّبت إلى نفوسهم دعوة القومية العربية الإسلامية وأضحت مركزاً للاحتفالات والمحاضرات فكان نشاطاً إيجابياً لتحقيق وحدة الفكر الجزائري وكانت الجمعية همزة وصل بين المسجد والمدرسة لأن هناك عدداً هائلاً من الشباب لم تستطع الجمعية تبليغهم المبادئ الإسلامية والثقافة العربية إلا في تلك النوادي التي كانت تقوم بتنقيف الشباب وتوعيته سياسياً واجتماعياً ووطنياً ذلك لأن المدرسة مخصصة للأطفال والمسجد لا يقصده الا المسنون آنذاك من الرجال والنساء، والصحف لا تكون إلا في متناول المثقفين والمتعلمين المتعودين على قراءتها،

¹ بن مزور عمار: عبد الحميد ابن باديس ومنهجه في الدعوة والإصلاح، المرجع نفسه، ص204/208

² عمر بن قينة: رحلات ابن باديس مجلة الموافقات المرجع نفسه ص634

فالشباب الذي لا يقرأ ولا يدخل المساجد يكون محروما من الحركة الإصلاحية والنهضة العلمية والأدبية لذلك باتت النوادي تشكل المحور الرئيسي لتجميع هذه الفئة وتوعيتها دينيا وثقافيا حتى تؤدي دورها السياسي والوطني في المستقبل.

المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة مع هدف المنهج العلمي

المطلب الأول: الإنجازات المحققة.

لقد حدّد ابن باديس أهدافه مسبقا ثم اتبع منهاجا علميا عمليا كفيلا بتحقيق تلك الأهداف وقد أخذت من الوقت ما يكفي لنضج الفكر المفضي لتحديد الأهداف، إذ بين العمل المنظم (جمعية العلماء المسلمين) وبين بداية التفكير في سبل الإصلاح ومداخله وأساليبه ومناهجه ثمانية عشر عاما كانت كلها تخطيطا وتفكيراً ودراسة والأهداف كانت واضحة هي:

● إصلاح الفرد والمجتمع

● إحياء الانتماء الحضاري في نفوس أفراد الأمة.

● بعث مقومات التغيير في الواقع الجزائري.

ومقارنة بين أحوال الشعب الجزائري قبل وبعد المشروع الباديسي الفكري

الإصلاحي يمكننا تسجيل إنجازات هامة على مستوى البنية الفكرية، والثقافية ولا

نبالغ إن قلنا إنه أحدث انقلابا هائلا في الشخصية الجزائرية.

فبالنسبة للهدف الأول: إصلاح الفرد والمجتمع:

فقد حدد ابن باديس لهذا الهدف سبيلين هما: إصلاح العقيدة ثم إصلاح الأخلاق فعول على التعليم كسبيل لإصلاح العقائد والأخلاق، ويكفي أن نذكر عدد المدارس التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين منذ تأسيسها سنة 1931 م حتى الاستقلال بلغ 350 مدرسة موزعة عبر كافة أنحاء التراب الوطني، وهو من مؤيدي فكرة إصلاح الفرد قبل المجتمع "يذهب إلى أن الأخلاق تتبع من داخل الفرد وبالتالي يجب البداية به في كل إصلاح، وأن الوسيلة إلى تقويم أخلاقه وإصلاحها إنما تكون عن طريق تطهير القلوب وتهذيب النفوس وإصلاح العقائد من مظاهر الشرك والبدع والخرافات والضلالات وإيقاظ العاطفة الدينية في نفوس الأفراد، حتى تدفعهم إلى العمل على تغيير ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم من سوء وانحطاط"¹.

وإصلاح الفرد هو العامل الأساسي لإصلاح المجتمع، وذلك بتزكية النفس التي هي أساس الفلاح، وإحياء الإرث النبوي والذي بوسعه تغيير الواقع الذي سعى الاستعمار إلى التلاعب به، وبيدنها ولغتها وثقافتها وكان يقوم بهذا النشاط عالم من علماء الجمعية وهو "الفضيل الورتلاني".

والهدف الثاني المسطر هو إحياء الانتماء الحضاري في نفوس أفراد الأمة

فقد منّ الله سبحانه وتعالى على ابن باديس أن أقر عينه بنتائج كده وجهده قبل مماته حيث عدد بعض الإنجازات المحققة في حفل حاشد ضم أكثر من خمسة آلاف عضو

¹ _ رابح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص 54

من أعضاء الجمعية وأنصارهم فقال: "لقد حوربت فيكم العروبة حتى ضن أن قد مات فيكم عرقها، ومسح فيكم نطقها فجئتم بعد قرن تضج بلادكم بأشعارها، فتثير فيكم الشعور والمشاعر.... وحورب فيكم الإسلام حتى ظن أنه قد طمست أمامكم معالمها، وانتزعت منكم عقائدكم ومكارمكم فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنتشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كما حرفه الجاهلون وسواه الدجالون ورضيه أعدائه"¹

وقد ركز ابن باديس على قضية الوطن في إذكائه روح الانتماء الحضاري حتى

اتخذها شعارا في مجلة المنتقد "الحق فوق كل أحد ، الوطن قبل كل شيء "

واستطاع تحويل معاني الوطنية من مفاهيم مجردة إلى ممارسة ميدانية عنوانها التضحية والفداء، فكانت ثورة نوفمبر المباركة.

وقد أشار الدكتور عبد الله شريط إلى هذا المعنى في قوله: " قوة ابن باديس

ليست فقط في أمانته في التعبير عن روح الشعب عند رده على فرحات عباس بأن

الجزائر ليست فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا وإنما قوته

في كونه هذا الرد كان عمليا في حين بقي حكم فرحات عباس نظريا"²

¹ البصائر: السنة الثانية، العدد 83 1937 ص9

² عبد الله شريط: مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير ونذرية الشيخ ابن باديس، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة،

الجزائر العدد 75 1983 ص27

أما الهدف الثالث فهو بعث مقومات التغيير في النفس البشرية، فكانت مقوماته ودعائمه من واقع المجتمع، وتهدف إلى تخليص البلاد من ريقة الاستعمار وهي: - الوحدة الدينية: ويعتبر الإسلام أقوى عامل لتحقيق الوحدة، فكان له الفضل في تحصين الشعب الجزائري، من شر الفرقة والانقسام في المجال الديني.

_الوحدة اللغوية: اعتبرها ابن باديس البند الثاني من بنود الحركة الإصلاحية فعمد إلى إنشاء المدارس وإصدار الصحف والمجلات وإقامة الدروس والمحاضرات. _التاريخ المشترك: هو ذكريات وأحداث من الماضي لكنها قادرة على تشكيل صورة الحاضر.

المطلب الثاني: آفاق الاستفادة منها في الواقع المعاصر:

إن المنهج الذي اتبعه "ابن باديس" مكنه من تحقيق نتائج جلية والغرض من دراسته هو الوقوف على إيجاباتها ونجاحاتها بغرض الاستفادة منها في حاضرنا ومستقبلنا وتمكن الوقوف على بعض الجوانب النظرية والعلمية في التجربة الباديسية بغرض الاستفادة منها نذكر على سبيل المثال:

أولاً./ تجنب المواجهة دون ضرورة: ما يميز تجربة ابن باديس الإصلاحية قدرته على تجسيد مشروعه الإصلاحي بخطى ثابتة ومراحل مدروسة وسط بيئة معادية لأفكاره وتصورات، مثل الاستعمار والفكر الطرقي فقد تجنّب الصدام مع الاستعمار ولم يعط

له مبررات القضاء على مشروعه الإصلاحية وقد عبر ابن باديس عن هذا بقوله "إن الظروف تكيفنا ولا تتلفنا"

ففقاه المرحلة والقراءة الصحيحة للواقع والعلم الواسع لمقاصد الشريعة وسنن التغيير وطول النفس وبعد النظر هي الدعائم الحقيقية للتغيير والإصلاح هذا ما غاب عن الحركات الإصلاحية المعاصرة سواء في العالم العربي أو العالم الإسلامي، التي نلاحظ أنها تتطرق انطلاقاً سلمية سرعان ما تستعجل وضع السقف قبل رفع الأعمدة وتكون النتيجة كالتالي ﴿نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾¹

إن دراسة المنهج العلمي في فكر ابن باديس في سيره نحو هدفه وتعامله مع محيطه وتوظيفه للطاقات واستغلاله للإمكانيات وتحديدته للواجبات وترتيبه للأولويات وقدرته على امتصاص الأزمات وعدم الانجذاب لافتنال الأزمات، يثري رصيد الحركات الإصلاحية المعاصرة بتجارب ناجحة تعصمها من الوقوع في الزلل.

ثانياً/ دور النخبة في العمل الإصلاحية : إن الدور الأكبر في نجاح العمل الإصلاحية و إفشاله يعود للنخبة المفكرة و الموجهة ، فطبيعة الأمة أنها لا تتحد إلا بموحد و لا تنهض إلا بمصلح، ولا تقاد إلا بقيادة ، ولا يكون ذلك إلا بنخبة واعية مدركة عاقلة متزنة قادرة على السير بالسفينة إلى مبتغاها ، و السقوط المتسارع لحل الحركات الإصلاحية يعود إلى النخبة المسؤولة " بسبب منظومتها الفكرية و مناهجها العلمية و

¹ سورة لنحل: آية 276

ليست أزمة أمة لأن الأمة ما تزال تعلن ولاءها للإسلام رغم محاولة احتلالها ثقافيا و غزوها فكريا و لهذا سميت الجمعية بجمعية العلماء المسلمين وهكذا كانت عبارة العلماء في الجزائر تعني أولئك الجزائريين المثقفين ثقافة عربية إسلامية.

ثالثا/ الابتعاد عن العقلية الذرائعية: نلاحظ ضمور الجانب الذرائعية في التجربة الباديسية وفي المقابل الإصرار على الإنجاز والصبر على إنضاج الزرع الدعوي باعتباره أساس المشروع الإصلاحية "فهناك تعويل على قدرات الجمعية الذاتية في تحقيق أهدافها وتجسيد طموحاتها في إطار ما تسمح به الظروف وتقوى على إنجازه الإمكانيات دون إلقاء اللوم على الغير وهو نموذج حري بالحركات الإصلاحية الراهنة أن تستفيد من دراسة واستخلاص الدروس والعبر من تجاربه"¹

رابعا/ الزهد في المنافسة على المناصب: لم يطرق رؤساء جمعية العلماء المسلمين أبواب الانتخابات التي كانت تنظمها سلطات الاحتلال في الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين الأحزاب والمنظمات المختلفة، هذا الأمر اكبرهم عند الناس فتجاوبوا معهم بعفوية نابعة من فطرة سليمة تتضمن الإخلاص وتجل الصدق وهو نفسه الأمر الذي أنجح بعض الحركات الإصلاحية الأخرى

خامسا/ أهمية البعد التربوي في المشروع الإصلاحية: إذا ما تصفحنا جل مشاريع الإصلاح والتغيير في النصف الثاني من القرن العشرين وبداية القرن الحالي نجدها

¹ د محمد بن إسماعيل المقدم: خواطر حول الوهابية، موقع الكتروني في مجلة البيان

تتضمن البعد التربوي والتعليمي بشكل أو بآخر غير أن الفرق بينها وبين المشروع الإصلاحى عند ابن باديس هو أن هذا الأخير جعل للبعد التربوي والتعليمي أهدافا واضحة ووظيفة محددة تتلاءم وطبيعة الإصلاح المنشود أما المشاريع الأخرى فتعتبر التربية والتعليم مجرد مظهر حضاري يزين واجهة المشروع الإصلاحى.

"لم يفرق ابن باديس في التربية بين الرجل والمرأة بل خصّها بالعناية إذ يقول "لن تكتمل حياة امة الا بحياة شطريها الذكرو الأنثى"²

كما يؤمن بأن الجهل هو الذي أّخر المرأة لذلك لابد من رفع حجاب الجهل عن عقلها قبل رفع حجاب الستر عن وجهها، لكن في نطاق المثّل والأخلاق والقيم الإسلامية.

¹ عبد الحميد ابن باديس: رجال السلف ونساؤه ج3 ص 62

² عبد الحميد ابن باديس: المرجع نفسه، ص53

الفصل الثالث

المنهج العلمي عند النورسي.

الفصل الثالث: المنهج العلمي عند النورسي

المبحث الاول: المنهج النوري في جانبه النظري

المطلب الاول: أصول منهجه

المطلب الثاني: خصائص منهجه

المطلب الثالث: أبعاد منهجه

المبحث الثاني: المنهج النوري في جانبه التطبيقي

المطلب الاول: أساليب المنهج النوري

المطلب الثاني: وسائل المنهج النوري

المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة مع أهداف المنهج العلمي

المطلب الاول: الإنجازات المحققة

المطلب الثاني: إمكانية الاستفادة منها في الواقع المعاصر

المبحث الأول: المنهج النوري في جانبه النظري¹

المطلب الأول: أصول منهجه.

اعتمد النورسي على المصادر الإسلامية المعروفة ورتبها وفق نسق المتقدمين، القرآن، السنة فالخبرة العلمية الممثلة في علم الكلام حيناً، وفي الخبرة الصوفية حيناً آخر، ويتجلى استثماره لتلك المصادر والأصول فيما يلي:

أولاً/الأصول العقائدية.

لقد كان هدف النورسي أن يجعل الفرد المسلم داخل مجتمعه لبنة إيجابية تستشرف المستقبل وتنظم حياته تجاه ربه ووطنه، فرسائل النور التي ألفها النورسي هي تعبير نموذجي للمجتمع المؤمن، والمنهج الفكري النوري يتمثل في عدم فردية العمل كما هو الحال عند الصوفية، وفي الوقت نفسه ليس عملاً جماعياً يباين حاجيات الفرد فهو عمل إيماني جماعي تتجاوز أهدافه النصر السياسي الآني، فرسائل النور تسعى لإصلاح القلب بمرهم إعجاز القرآن، وقد ارتكز المنهج النوري على عدة أصول منها:

¹ بديع الزمان سعيد النورسي: لد 1873 من اسرة كردية تعيش في قرية نورس ولاية بتليس شرق الأناضول توفي سنة 1960 مخلفاً رسائل النور التي هي بمثابة منقذ الايمان في نفوس

1_ التركيز على إعادة بناء الأمة وهيكلتها بنظم العقيدة والدين:

تحتل قضية عقيدة الإيمان بالله تعالى وبرسوله مكانة بالغة الأهمية في رسائل النور وقد أدرك النورسي رحمه الله أن النفوس لا يعالج ما فيها من أمراض إلا باللجوء إلى الله تعالى وعقيدة التوحيد الخالصة لأن داعي الفطرة هو الإيمان .

هذا المنهج العقدي الذي يأخذ بيد الإنسان ويعصمه من المنزقات الخطيرة قد قرره النورسي بأدلة قوية وأعطاه كبير الوقت وقد كانت رسائل النور مفعمة بدلائل التوحيد وتربية النفوس وملء مكامن الروح بهذا التوحيد وبفضل الثقافة الواسعة والعقل المدبر والهمة العالية استطاع أن يسلك مسالك عديدة لإثبات هذه الحقائق .

يقول رحمه الله : "إن أقوى منهج من بين المناهج المؤدية إلى معرفة الله، كعبة الكمالات وأكثرها استقامة هو المحجة البيضاء التي سلكها صاحب المدينة صلى الله عليه وسلم، ذلك المنهج الذي ترجمه لسانه الصادق المبارك العاكس كالمرآة لما في قلب الشريف الذي هو كمشكاة مظلة على عوالم الغيب¹."

وهكذا نجد أن النورسي قد حدد المنهج الملائم لمعرفة الله سبحانه وتعالى وهو منهج القرآن والسنة لما فيه من دراسة للواقع الميداني واستشراف للمستقبل، وبين للإنسان أن النفوس بحاجة إلى ربط الصلة المتجددة بخالقها وهذا المسلك يربي في الإنسان مراقبة الله له، وهو مسلك استنبطه كطريق إلى الإصلاح والتغيير .

¹ النورسي: صيقل الإسلام، تر احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة، مصر، ط3 2000 ص124

2- توجيه المسلمين نحو تعميق محبة النبي صلى الله عليه وسلم في النفوس

اهتم بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يقول: "ادخلوا بالتسليم الكامل في الظلال الوارفة للسنة المحمدية، بكل استسلام وإعجاب"¹

لقد ربط الله سبحانه وتعالى محبته بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لأنه الوحيد الذي اجتمع فيه الكمال البشري الميسور، فمن أراد تزكية نفسه فليقتبس ذلك من مشكاة النبوة، هذه التربية ودورها الدعوي دفعت النورسي إلى إعطائها ما تستحقه من البيان والتفصيل فلنستمع إليه وهو يجلي لنا هذه الحقائق الإيمانية: "مادام عليه الصلاة والسلام متصفا بأسمى مراتب محاسن الأخلاق باتفاق الأولياء والأعداد وأنه -صلى الله عليه وسلم - المصطفى المختار من بين البشر وأشهر شخصية فيهم باتفاق الجميع ما دام هو أكمل إنسان بل هو أكمل قدوة ومرشد بدلالة آلاف المعجزات وشهادة العالم الإسلامي الذي كونه. و بكمالاته الشخصية بتصديق حقائق ما بلغه من القرآن الكريم، فلا بد أن سنده هذا النبي الكريم هو أفضل نموذج للاقتداء وأكمل مرشد للإتباع والسلوك وأحكم دستور وأعظم قانون يتخذه المسلم أساسا في تنظيم حياته"².

ففي هذا النص يرشد النورسي جميع المسلمين إلى التربية بمحبة النبي صلى

الله عليه وسلم ووجوب إتباعه والحذر كل الحذر من مخالفته، فدساتير السنة النبوية

هي أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية والقلبية والاجتماعية

3- التربية بفضل الله و عظيم إحسانه:

¹ النورسي: اللغات، نفي المرجع، ص123

² النورسي: اللغات، تر إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، القاهرة مصر ط3 2000 ص86

يذكر الله المسلمين بشكرهم لنعمه عليهم ، حتى يقدم لهم نعماً ظاهرة وأخرى باطنة والنفوس مجبولة على شكر من أحسن إليها ، هذا المنهج الفعال لم يتوان النورسي جهداً في توجيه الأبصار ودعوة الناس إلى الإيمان من بابه وإشعار تلاميذ النور بقيمته وأهميته وثمراته الملموسة ، يقول رحمه الله : "تصور وأنت تستشعر عجزك وحاجتك الشديدة إلى من يساعدك ويعينك لإنقاذ من تحن إليهم وتشفق على أوضاعهم ، من الأقارب و الفقراء وحتى المخلوقات الضعيفة المحتاجة ، إذ بأحدهم يبرز في الميدان ويحسن لأولئك وينفضل عليهم ويسبغ عليهم نعمه بما تريده وترغبه فكم تطيب نفسك وكم ترتاح إلى اسم المنعم الكريم"¹

فصفة الضعف الإنساني في نظر النورسي صفة إيجابية، ونعمه إلهية على الإنسان لا تقدر بثمن، فهي عنده إحدى مدارج الإيمان ومنازل الإحسان، في سير العبد إلى ربه تائباً عاجزاً فقيراً مشتاقاً ومحباً وإظهاراً لقدرته المطلقة وإبرازاً لرحمته الواسعة.

فما يمكن قوله هو أن منهج النورسي في معالجة القضايا التربوية بأسلوب راق ومنهج مستقيم استمدته من القرآن الكريم، وأن الذي عايش رسائل النور يجد فيها نماذج كثيرة جداً لأنماط العمل الدعوي في بناء الفرد والمجتمع .

4_ تجديد صلة الإنسان بالقرآن الكريم يكفي لتحقيق نهضة الإنسان

¹ النورسي: الكلمات، تر احسان قاسم الصالحي ،دار سوزلر ، القاهرة مصر، ط3 2000 ص752

إن القيام بتغيير واقع المسلمين وما آل إليه حالهم من غلبة الثقافة العلمانية الغربية أمر يكاد يكون متعسرا جدا فقد تكلم النورسي عن أهمية القرآن الكريم في حياة أتباعه فهو يعتبر منبع الإصلاح في النفس والمجتمع فهو يقول: "أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فيجد في كل مكان ويحفزه أينما كان فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجر الماء أينما ضربت"¹

فقد أسس النورسي رسائله على قاعدة تقوم على تصحيح فهم الإنسان لخالقه وذلك من خلال فهم القرآن الذي يكشف لنا عن جوهر هذا الإنسان وطبيعة وجوده بل و حرشته من خلال عبوديته لله الخالصة، لهذا ركّز على الانطلاق من القرآن ليصحح فهمه فتقوى صلته بالله عزّ و جّل خاصة في عصر اشتدّت فيه الإلحادية والتشتت والعبثية فيكون لزاما توجيه أنظار الناس إلى القرآن الكريم الذي لا يقتصر على توحيد الله فقط بل وتحقيق وحدة المسلمين إذا صحت صلّتهم به ولا يتحقق هذا المبتغى إلا إذا وجهنا جميع حاجات المسلمين نحو القرآن الكريم حتى يبقى مهيمنا هيمنة كبرى على النفوس وتكون أوامره الجليلة مطبقة منفذة كليا وما كان كتابا مباركا يتبرك بتلاوته فقط"²

ثانيا/الأصول الفكرية .

¹ النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص 507

² النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 328

1_ الدعوة إلى التغيير والإحياء والبعث:

لقد تأمل النورسي ملياً حال المسلم الذي يدعو إلى الإسلام حينما يتصدى له الآخرون قائلين له لا جدوى من عملية التغيير الإسلامي بعدما تغير العالم أجمعه إلى نموذج جديد تفوقت فيه العلمانية في كل فنون الماديات، في حين أن المسلمون يعكسون عالماً متخلفاً .

أقول مشاطرة النورسي تأملاته، حينما صار واقع المسلمين منتكساً هازلاً يئن تحت غثائيه خطتها عنكبوت الهزيمة من جهة ومن جهة أخرى روحانية جافة صورت الواقع الحضاري المعيش .

ولما كانت أسباب تخلف الأمة في نظره جهل أكثر الناس بحقائق الشريعة بسبب التخلي عن طلب العلم وتقاعس الدعاة عن نشر المعارف الشرعية، وقد اقتنع منذ البداية بأن التغيير الجذري للأمة الإسلامية يبدأ من البنى التحتية ولا بد لإعداد العدة لذلك، ولقد أورد خمسة أسس لإنقاذ الأمة وتغييرها جذرياً نحو الأمن والأمان والسعادة والاطمئنان بدل الفوضى والإرهاب وهي :

الرحمة - الاحترام - الأمن والثقة - اجتناب المحرمات والتفريق بين الحلال والحرام
_ الطاعة وترك التسيّب.

2_ وظيفة العمل الإيجابي في المحافظة على وحدة المجتمع:

لقد قضى النورسي حياته كلها من أجل إعلاء كلمة الحق، وإنقاذ البشرية من الجهل والتخلف وقد كان يقول: "إنني أستطيع أن أتحمّل آلام الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي وجهت إلى قلبي أولاً، ولهذا تروني مسحوق الفؤاد"¹

لكنه كان متفائلاً بالنصر فقد كان يقول لإخوانه: "ولكنني أرى نورا سينسينا هذه الأيام الحالكة بإذن الله" فقد كان واعياً بهموم أمته التي أنهكها الاختلاف فصرخ بأعلى صوته في الخطبة الشامية قائلاً: "لقد آن أوان الاتحاد الإسلامي وهو على وشك أن يتحقق، وعليه يجب أن تصرفوا النظر عن تقصيراتكم الشخصية وليتجاوز كل عن الآخر".²

3-الخبرة العلمية المعرفية:

أي مجموع المعارف التي أنتجته العقلية الإسلامية، من خلال تعاملها مع النصوص كتاباً وسنة، مثل الفقه الإسلامي، الذي يجب أن يكون تابعاً للقرآن الكريم لا متبوعاً، وعلم الكلام، الذي يظهر اهتمامه به من خلال استثمار أقوال أعلامه، ومصطلحاتهم والنسج على منوالهم والتصوف من خلال تأثره بالطريقة النقشبندية والتي كثيراً ما يستشهد بأقوال أعلامها "السر هندي الفاروقي".

ثالثاً/الأصول السياسية.

¹ النورسي: سيرة ذاتية، تر احسان قاسم الصالحي، مرجع سابق، ص167

² النورسي: نفس المرجع، ص168

لقد كان منهج النورسي في الفكر السياسي متأثراً بالشرعية الإسلامية والذي يصلح لكل العصور المستقبلية مهما تطورت المجتمعات البشرية لأنه يستمد أصوله من أعرق ينباع الحضارية، وفي خطابه إلى مجلس الأمة وضع الخطوط العريضة لمنهاج السياسة الحقيقية، من منطلق الشرعية الإسلامية، كما قدّم دعائماً للفكر السياسي الإسلامي أهمها: العدل، الشورى، المساواة، الحرية والجهاد.

وهكذا فإن الإمام النورسي يعد صاحب منهج فكري سياسي متكامل وداعية متميزاً في كل مجال من المجالات التي نطّلع على فكره ورسائله فيها.

ومن الآراء السياسية التي تأثر بها النورسي، آراء محمد عبده في اعتزاله لها وبعده عنها وهذا لا يناقض القول السابق في آراء النورسي وفكره السياسي، لأنه اعتزل السياسة التي تعني المناصب والشهرة والمال لكنه انغمس في السياسة النزيهة القائمة على دعائم الحق كونه رجل صاحب مبادئ سامية وأهداف عالية تتجاوز الكراسي والمناصب.

المطلب الثاني: خصائص منهجه

أولاً/النزعة العلمية المعرفية:

لقد دعا النورسي إلى الأخذ بأسباب العلم والتقنية الحديثة ودارستها لنستمتع له وهو يقول: "إذ الأجانب يسحقوننا تحت تحكّمهم المعنوي بسلاح العلوم والصناعات ونحن

سنجاهد بسلاح العلم والتقنية الجهل والفقر والخلاف الذي هو ألد أعداء كلمة الله¹ كما تكلم عن قواعد البحث العلمي ونواحي الاجتهاد المطلوبة في عصرنا الحالي، وأصر على تدعيم العلم بالإيمان وعدم تقليد الغرب بطريقة عمياء فالعلم ضروري ليقظة الأمة وقد بيّن ذلك في رسائل النور من خلال:

1- القرآن ينبوع التقدم العلمي: قدّم النورسي تفسيراً لآيات القرآن الكريم يتواكب مع النهضة العلمية التي بهرت أنظار المسلمين في أوروبا فاستنبط منه معاني جليلة تحث الإنسان على الاستزادة من العلوم لتحقيق أقصى درجات التقدم العلمي، فالتعليم يؤهل الإنسان لينال مكانة سامية وأفضلية، ليس فقط على الملائكة بل على السماوات والأرض، في حمل الأمانة هذا في تفسيره للآية ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴾² كلها كما بيّن أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم كنز علمي عظيم وهو الآية

الواضحة المفصلة لجميع مراتب أسماء الله الحسنى كلها عليه الصلاة والسلام "ذلكم أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم الذي رفع أصبعه عالياً بجلال الله فشق القمر، وخفض الأصبع المبارك نفسه بجلال الله ففجر الماء كالكوثر وأمثال ذلك كثير من المعجزات الباهرة التي تزيد عن الألف"³ هذا الرسول الكريم أظهر القرآن الكريم الذي

¹ النورسي: صيقل الإسلام، المرجع نفسه ، ص496

² سورة البقرة: الآية 5

³ عماد الدين خليل: المؤتمر العالمي حول النورسي، اسطنبول، ص 73.

هو المعجزة الكبرى التي تتحدى الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾.¹ وهكذا كل علم من العلوم الغزيرة جدا يدل على خالق الكون ذي الجلال والإكرام ويعرفه سبحانه بأسمائه الحسنى ويعلمه إيانا بصفاته الجليلة وكمالاته.

وقد فصل الإمام النورسي في هذا المجال وبين كيف يدل كل علم على خالقه مثل علم الطب والصيدلة والكيمياء والاقتصاد والهندسة وحتى علم الكهرباء، فيذكر مثلا النجوم والشمس التي تثبت النور الإلهي دون انطفاء فيقول: "هذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلّية، يبين بوضوح -على وفق علم الكهرباء الذي قرأتموه أو ستقرؤونه -سلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير ويعرف منوره ومدبره البديع وصانعه الجليل، بشهادة هذه النجوم المتألّئة ويحبيه إلى الجميع بالتحميد والتقدّيس والتهلّيل بل يسوقهم إلى عبادته سبحانه وتعالى"²

ب/الإيمان يعين على تحمل أعباء الحياة:

بيّن لنا النورسي من خلال رسائله أن الإنسان رغم عجزه وفقره وآلامه ومرضه إلا أنه يجد في غيمانه بالله وباليوم الآخر والقدر خيره وشره مستندا قويا ومرتكزا عظيما يحتمي به لدفع أعدائه كافة وجد فيه كذلك مدار استمداد يستغيث به لقضاء حاجاته

¹ سورة الإسراء: الآية 88.

² النورسي: الكلمات، المرجع نفسه، ص175

إذ يقول النورسي: "فكما ينتسب كل إلى سيده، ويفخر بشرف انتسابه إليه ويعتز بمقامه لديه، كذلك فإن انتساب الإنسان بالإيمان إلى القدير الذي لا نهاية لقدرته وإلى السلطان الرحيم ذي الرحمة الواسعة ودخوله عبوديته بالطاعة والشكران يبذل الأجل والمؤمن الإعدام الأبدي، إلى تذكرة مرور ورخصة إلى العالم الباقي، فلکم أن تقدروا كم يكون هذا الإنسان متلذذا بحلاوة العبودية بين يدي سيده، وممتنا بالإيمان الذي يجده في قلبه وسعيدا بأنوار الإسلام، ومفتخرا بسيده القدير الرحيم، شاكرًا له نعمة الإسلام"¹.

ج/التفكير فريضة إسلامية:

كان الإمام النورسي على يقين بأن عصره هو عصر إظهار الحقائق الإسلامية وتقوية الإيمان أمام الغزو الثقافي والفكري الذي شنته وتشته الدوائر الحاكمة على الإسلام وكان يرى أن وظيفة الإنسان الفطرية إنما تكمل بالتعلم، أي عن طريق كسب العلم والمعرفة. "لقد بذل النورسي في هذا المجال الكثير ومما قام به: تجريد الفكر من المعلومات غير الحيوية وغير العملية وغير الحقيقية، وأفسح المجال لمقابلاتها الإيمانية، وجعل نفسه نموذجًا لذلك التجريد كما وفق في التوفيق العقلي بين ما تدركه الحواس وما لا تدركه، وذلك بغرس الإيمان بالغيب في الوعي البشري، دون تصادم مع واقعات الحس ومقررات العقل المنطقي السليم، ونتائج العلوم التجريبية اليقينية القطعية، فوسع من أفق الواقع المكاني والزماني في وعي الإنسان، وقد أراح

¹ النورسي: الكلمات، المرجع نفسه، ص 177

بعون القرآن_ كل شبهات الماديين وأوهامهم وظنونهم وأهوائهم، ومن أعظم الشروط التي وضعها: الشروط الوجدانية والعقلية والروحية والأخلاقية كتجنب الغفلة والمعصية والغرور والتعصب والوهم والنفي اللامسؤولية والافتراض أو التنظير غير العلمي أو غير المتناسك كما دعا إلى تنقية كتب التراث من التفسير والآراء التي دحضها العلم بيقينياته" ¹

ولذلك فإن الإمام النورسي "تقدم في هدوء ذكي ليأخذ بيد الطالب إلى الحقيقة في جولة رائعة شاسعة، كي يفتح له فيها مغاليق قلبه وعقله، ويوقفه أمام لوحة الوجود، وجمالها الأخاذ ومظاهرها البديعة بادئ رحلته الكونية من عجائب الآفاق العلوية إلى مدهشات الكائنات السفلية، سابرا غورها واصفا اتساقها وتوازنها ولوحاتها الفنية الرائعة التي تأخذ الألباب وتضرب على أوتار القلوب، فتوقظ الغافل وتنال سببية الحاسمة والغائية العميقة والتخطيط الكوني الشامل الجامع الذي يقعك بوجود الخالق العظيم الذي تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن" ²

لقد اجتهد النورسي في تحصيل العلوم الدينية والعلمية، أيما اجتهاد ولم يتوان أو يقصر في هذا المجال أو ذاك: فقد حفظ القرآن الكريم، ودرس علوم النحو والصرف والبلاغة والتفسير والفقه، حتى حصل على العالمية وهو ابن أربع عشرة سنة، كما

¹ محمد رشدي عبيد: المؤتمر العالمي حول تجديد الفكر الإسلامي اسطنبول، 1992 ص86/87

² الأستاذ حسين عاشور: المرجع السابق، ص187/188

درس علوم الرياضيات والفلك والكيمياء والفلسفة والجيولوجيا والتاريخ والجغرافيا وألف في البعض منها، لذلك كان رائعاً في تأملاته عميقاً في مشاهداته.

د/كيف يحقق ترابط العلم والإيمان سعادة الإنسان ورقيه؟

يقول الأستاذ الأخر شريط منبها لضرورة ترابط العلم والإيمان "من مقومات الحضارة عموماً والإسلامية على الخصوص الاهتمام بالتوجه الأخلاقي وبالتوجه العلمي لا سيما الحضارة العربية فقد ورد الكثير من المقوم الأول وهي في حالة إنتصار للمقوم الثاني"¹ فالعلم لوحده لا يوصلنا الى الهدف المنشود وحين يتصالح مع الإيمان ستولد الحقيقة الايمانية .

يقول النورسي: "إن الفنون الحضارية هي نور العقل والعلوم الدينية هي ضياء القلب وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ويافتراقهما تتولد الحيل والشبهات"²
 "يؤكد النورسي أن البحث العلمي الجاد أصبح ضرورة عقائدية تفرضها متطلبات العصر وحالة التخلف التي تعيشها أمة الإسلام وعلى كل مسلم غيور _ كل في مجال

¹ الأخر شريط: أفكار من نور في الحضارة، في العدل الإلهي، في الأخلاق مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع 2011 ص 30

² النورسي: اللغات، المرجع نفسه، ص 337

تخصّصه _ أن يجتهد في إزالة تلك العقبة الكؤود التي تحول دون بزوغ الإسلام واستلاء الشريعة على وجه العالم كما حدث في القرون الأولى لظهور الإسلام.¹

ثانيا/النزعة الجمالية:

اعتبر النورسي الكون كتابا جميلا كتب بكلمات جميلة وكل حرف من حروف هذا الكتاب دليل على جمال الكون الإلهي: "ومتلما لا يمكن أن تكون دار بلا بناء لا سيما هذه الدار التي زينت بأبدع زينة ونقشت بأروع نقوش وأعجبها وشيدت بصنعة خارقة حتى إن كل حجر من أحجارها يتجسد فيه فن ما في البناء كله فلا يقبل عاقل أن تكون دار مثل هذه الدار بلا بناء".²

يدل هذا الكلام دلالة واضحة على أن الوجود في تجلياته لوحة جمالية رائعة تدل على المبدع سبحانه وتعالى ولم تكن غايته مجرد لذة روحية لا غير بل سكنه هم إشراك الإنسانية معه في تذوق هذه اللذة العظيمة ولسان حاله يقول أيها الناس إن السبيل الوحيد للتخلص من أقداركم هو أن تتعلموا كيفية النظر إلى الوجود بجميع تجلياته، نظرة جمالية.

والسؤال المطروح هو: كيف يكون الجمال وسيلة من وسائل علاج العالم النفسية والروحية؟ والجواب بسيط كما بيّنه الإمام النورسي: "إذا قارنا نظرتين إحداها جمالية

¹ ليث سعود جاسم: الامام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات، شركة سوزلر للنشر، القاهرة مصر، 2004. ص55/54

² النورسي: الكلمات، المرجع نفسه ، ص61

والأخرى عامة خالية من أي معنى جمالي، فلا شك أن النظرة الجمالية تستطيع أن تتفاعل مع معطيات الواقع والوجود والكون أكثر وكذلك النظرة التشاؤمية للكون لا تنتج إلا الفشل والإحباط.

فما أوحج الإنسانية إلى أن تتلقى جرعات من منهج بديع الزمان النورسي في تعويد الذات على رؤية الجمال وتذويب همومها ومشكلاتها النفسية بالانغماس في الجمال وتذوقه، إذ يقول النورسي: "فهناك من الحوادث التي يبدو ظاهرها قبيحا مضطربا مشوشا، إلا أن تحت ذلك الستار الظاهري أنواعا من الجمال الرائق وأنماطا من النظم الدقيقة".¹

ولتدعيم المعيار الجمالي في المنهج العلمي وظّف الإمام الحكاية والقصة الهادفة التي يرويها بأسلوب جمالي رائع ومشوق يجذب القارئ له جذبا، ولها وقع عجيب على النفوس لا يستطيع اللسان وصفه، وظّفها لتقريب المعاني إلى الأذهان من جهة ولإثبات الحقائق الإيمانية من جهة أخرى.

"ما من شيء أو كائن أو موجود في هذا العالم إلا ويعكس حالة جمالية: بالصوت باللون، بالشذى، بالحركة، بالإيماءة، بالتصميم البديع. مهندسة هي العوالم والأكوان في نظام الخلق المبدع... والكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم تنزلت آياته وسوره وهي تتألق تناسبا وتناغما وجمالا في موضوعاتها وفي تكويناتها

¹ - إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: تر احسان قاسم الصالحي، المرجع نفسه، ص76

الأسلوبية على السواء...الرسول ذاته عليه أفضل الصلاة والسلام. هذا الإنسان الكامل. يصير في المنظور نفسه موضوعا جماليا، لم يقل أحد ما قال ولا فعل ما فعل ولا تشكّل كما تشكّل، وهو في عين الله¹.

يصور لنا النورسي أوقات الصلاة تصويرا جماليا فريدا، فهو يشبه وقت الفجر ببداية الربيع وأوله وبأوان سقوط الإنسان في رحم أمه، أما الظهر فشبهه بمنتصف الصيف وعنفوان الشباب، أما وقت العصر فشبهه بفصل الخريف وزمن الشيخوخة وشبهه وقت المغرب بوفاة الإنسان ليوظّه من نوم الغفلة وينبهه، أما وقت العشاء فيذكر بالتجليات الجمالية لخالق السماوات والأرض ويانكشاف عالم الآخرين الواسع الفسيح.

المطلب الثالث: أبعاد منهجه.

أولا: البعد العقدي :

لقد بيّن الإمام "النورسي" في رسائله الأبعاد الوظيفية لمنهجه، وأكد على ضرورة الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وربوبيّته وألوهيته وبكتبه ورسله، وتعميق الإيمان بالحرش واليوم الآخر والملائكة بمنهج قرآني معاصر، وبأسلوب التمثيل والقصص والحكايات ذلك لأنه أدرك أن ترسيخ الإيمان في القلوب لا يتحقق إلا إذا تربت النفوس على الإيمان.

¹ عماد الدين خليل: رؤية جمالية في الكلمات، المؤتمر العامي حول تجديد الفكر الإسلامي، اسطنبول، 1992

فالمتمأمل في منهجه يدرك حرصه على سلامة صدور المسلمين المؤمنين لأن أبرز ما يرتفع بقيمة الإنسان هو إيمانه بربه، ولا يصل الغنسان إلى كمال الإيمان إلا إذا أيقن أن الله وحده هو مصدر العطاء والمنح لهذا الوجود.

والإيمان هو الذي يجعل الإنسان إنسانا حقا، بل يجعله سلطانا، لذا كانت وظيفته الأساسية الإيمان به والدعاء إليه، بينما الكفر يجعله حيوانا مفترسا في غاية العجز إذ يقول النورسي: "إن التفاوت بين مجيئ الحيوان والإنسان إلى هذه الدنيا، يدل على أن اكتمال الإنسانية الحقة إنما هو بالإيمان وحده . كما أكد الإمام النورسي على أن ترسيخ الحقائق الإيمانية هي مهمة كل داعية فعلم على تقديم الأنموذج الملتزم بالأخلاق الإسلامية وهو الداعية إلى الإيمان نيلا لرضى الله سبحانه وتعالى وعشقا للحقيقة وشوقا للحق، وقد كان المنهج القرآني منطلقا في ترسيخ الحقائق الإيمانية، فقد جاء أسلوبه ترسيخا وتأكيذا للإيمان لا أسلوب عواطف وانفعال، فقد دافع عن العقيدة الإسلامية دفاع للمحامي عن الحق الضائع، حيث قال: "إن أساس مسلكي منذ أيام صباي - ولا فخر - إزالة الشبهات التي تلوث حقائق الإسلام، سواء بالتفريط أو بالانخراط، وصقل تلك الحقائق الإيمانية، والشاهد على هذا تاريخ حياتي في كثير من حوادثه"¹

¹ الشفيح الماحي احمد: معالم ايمانية او البعد العقدي في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، للطبعة الأولى، القاهرة، 2003 ص56.

وبذلك أثبت لجيل هذا العصر أنه لا بد من ترسيخ عميق للإيمان في القلوب لتدافع عنه دفاعاً صحيحاً يخلص إلى نتائج ميدانية حقيقية، ولا تستطيع أن تقود هذا الصراع لحضاري الإسلام مع هجمات الغرب الكافر إلا بالتسلح بحقائق الإيمان والعقيدة الإسلامية قولاً وفهماً وعملاً وتطبيقاً حيث يقول: "إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والأوهام، وليس اتجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن الكريم¹."

ثانياً: البعد التربوي :

أولى النورسي للبعد التربوي للإنسان بصفة عامة أهمية بالغة في آرائه وكتاباته فكينونة الإنسان تقوم على ذلك الأثر الوهاج للعبودية لله في نفس العبد ذلك "أن الغاية القصوى للإنسانية والوظيفة الأساسية للبشرية هي التخلق بالأخلاق الإلهية، أي التحلي بالسجايا السامية والخصال الحميدة التي يأمر بها الله سبحانه ولا يقف عند هذا الحد بل يجب على الإنسان أن يدرك عجزه فيلتجأ إلى قدرته تعالى ويرى ضعفه فيحتمي بقوته تعالى²."

إن العلامة النورسي بهذا المنهج المتفرد يحاول قدر المستطاع أن يجعل من الهدف الوجودي للإنسان ذا معنى خاص يربطه بخالقه سبحانه وتعالى ، لحياته ومعاشه

¹ النورسي: صيقل الإسلام، المرجع نفسه ، ص64

² النورسي: الملاحق في فقه الدعوة: المرجع نفسه ، ص344

أهدافا سامية تصل الدنيا الفانية بالأخرة الباقية، لا يرضى بمشتاق زائل فلا بد أن هذا الإنسان سيبحث إلى دار البقاء والخلود ولا بد أن سينال حياة باقية دائمة¹

ومن أجل تحقيق هذا البعد جمع بين ما سماه بالعلوم الدينية والعلوم المدنية حيث قال: "العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، والعلوم المدنية هي نور العقل، ومن امتزاجهما تتجلى الحقيقة، والطالب يطير بهذين الجناحين، فإن افترقا تولد التعصب عند الأول والشبهة والتردد والحيرة عند الثاني"² حقيقة الجمع القرآني بين المسطور والمنظور عند بديع الزمان النورسي لها من البعد التربوي ما يكفل تعميق الهداية عند الإنسان المسلم بصفة خاصة، يجعله يزواج بين العالم الرسالي المخطوط والعالم الرسالي المشاهد المتطور وكأنه بهذا ذاته في الجمع بين الروح والمادة، جمعا يدرك من خلاله عظمة الخالق سبحانه وآياته العجيبة في الأنفس والآفاق³

تميز المنهج العلمي التربوي عند النورسي بالتركيز على المدنية الإسلامية وإحياء دورها وبعث الروح فيها، عوض استجداء الغرب ومدينته والارتقاء في أحضانها والركوض وراء بريقها وخذعها، وقد حاول النورسي قطع جذور الثقافة الغربية الإسلامية المعاصرة لأنها انطلقت من مبادئ الفلسفات الجاحدة التي أوجدت حالة من القلق و الفوضى الفكرية والتشكيك والإلحاد في العالم الإسلامي مستغلة تأخر

¹ النورسي: اللغات، المرجع نفسه، ص514

² النورسي: اللغات، المرجع نفسه، ص265

³ النورسي: اشعاعات، المرجع نفسه، ص562

المسلمين وجهلهم بدينهم، والحق أن موقف النورسي من الفلسفة الجاحدة التي ترفض مبادئ الدين الحق، وفي إطار توجيهه التربوي للمسلمين يضع النورسي موازنة واضحة بين المدنية الغربية والمدنية الإسلامية لتتضح الصورة بجلاء لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فذكر أن المدنية الغربية تقوم على أسس خمسة هي:

- نقطة استنادها: القوة بدل الحق.
- هدفها وقصدها: المنفعة بدل الفضيلة.
- دستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون.
- الرابطة بين الناس: العنصرية.
- تشجيع الأهواء والنوازع وإتباع الشهوات والرغبات.

أما المدنية الإسلامية فيعتبرها الأستاذ النورسي رحمة مهداة نزلت من سماء القرآن العظيم وهي تدور حول خمسة أسس راسخة:

- نقطة استنادها: الحق بدل القوة.
- هدفها وقصدها: الفضيلة بدل المنفعة.
- دستور للمجتمع: الهدى بدل الأهواء والنوازع.
- رابطتها: الدين والانتساب الوطني.

ثالثا: البعد الاجتماعي والأخلاقي والسياسي.

لقد كان الإمام النورسي يتوخى من منهجه الدعوي تحقيق مقاصد اجتماعية،

الفصل الثالث: المنهج العلمي عند النورسي

النور، وعلى هذا قام بتشخيص أمراض الأمة الاجتماعية السياسية والأخلاقية، وقدم العلاج الشافي لكل داء، مع أنه خاطب كل طبقات الأمة بداية بأطفالها، شبابها، شيوخها، نساءها، فرجالها، بحيث عمل على إرساء أسس ودعائم الوحدة الإسلامية الفكرية في المجتمع، وذلك بتقديم العلاج النافع لمرض الخلاف الفكري والمذهبي بين المسلمين حيث قال: "يا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة، ويا أهل الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلكا لكم، ارفعوا فورا هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، هو باطل وهو مضر في الوقت نفسه، وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحدكما ضد الآخر، وقد تستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفناء تحطم تلك الأداة أيضا، فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد"¹

إن مسار الإمام النورسي الآن هو تكلمه لمسار المصلحين قبله لاسيما جمال الدين

الأفغاني "الذي دعا إلى توحيد صفوف المسلمين تحت مظلة الجامعة الإسلامية.

¹ النورسي: اللغات، مرجع سابق، ص 37

رابعاً: البعد النفسي:

لقد حاول الإمام النورسي أن يعالج الكثير من القضايا التي تخذش كرامة المؤمنين وتفسد إيمانهم في الجانب النفسي بمنهج قرآني متقرد لذلك وقف مع النفس الإنسانية وقفات جادة وحاورها قصد إيجاد الحلول خاصة مع أمراض القلوب ومن بين الأمراض النفسية التي وجدها في النفس وحاول علاجها: الغيبة - الحسد - الغرور - الغرور الفكري - الأناية - سوء الظن - الوسوسة.. الخ.

والغيبة مثلاً هي داء يفسد الروح ويسم الفرد والمجتمع، والحسد هو ألد أعداء النفس لهذا قدم النورسي علاجاً له من خلال فرض الزكاة وتحريم الربا فهي أداة فعالة لرفع أسباب الحسد، وهكذا بالنسبة للكثير من الأمراض الروحية الموجودة عند الإنسان إن العلاج الوحيد لهذه الأمراض كلها هو الرجوع إلى صيدلية القرآن والسنة إذ يقول: "إن الشخص المعنوي لرسائل النور - يقصد نفسه، قد شخص أمراض هذا العصر الاجتماعية والروحية والدينية، وعرض لإنسان هذا العصر بعناية الله ما يداويه من العلل الاجتماعية المزمنة بأدوية القرآن".¹

¹ النورسي: الشعاعات، المرجع نفسه، ص 475

خامسا: البعد الاقتصادي.

يرى النورسي أن الاقتصاد هو عملية بناء المجتمع وتنظيم علاقات الأفراد فيه، كذلك تنظيم علاقة العبد بربه فيقول: "الاقتصاد سبب في البركة والاستكثار"¹. فهو يعتقد بوجوب التنظيم والترشيد سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو الدولة. وقد تطرق النورسي إلى مختلف المواضيع المتعلقة بالاقتصاد الإسلامي، ولعل رسالة الاقتصاد أكبر دليل على ذلك، حيث تتركز على حكمة الاقتصاد وحكمة عدم الإسراف وإيضاح تأثيراته السلبية وفقا للآية الكريمة ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾². ومن بين الحكم الكثيرة للاقتصاد كما يرى النورسي أنه شكر معنوي وتوفير للرحمة الإلهية الكامنة في النعم والإحسان وهو مدار صحة الجسد كالحمية مثلا، وهو وسيلة قوية لإحساس ما في النعم والآلاء من لذة، أما عن الثمرات الروحية التي ذكرها: فهو يذيق لذة النعمه لأفقر الناس، كما يذيقها لأغناهم، فالفقير يستشعر اللذة وتذوقها كالسلطات نعم إن اللذة التي ينالها فقير من كسره خبز يابس بسبب الجوع والاقتصاد، تفوق ما يناله السلطان أو الثري من أكله الحلوى الفاخرة بالملل وعدم الشهية النابعين من الإسراف.³

¹ النورسي: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 247

² سورة الأعراف: الآية 153

³ النورسي: اللمعات، مرجع سابق، ص 199

المبحث الثاني: المنهج النوري في جانبه التطبيقي

المطلب الأول: أساليب المنهج النوري

أولاً/أسلوب الوعظ والإرشاد:

لقد أولى الإمام النورسي للإرشاد اهتماماً خاصاً وأفرد له توجيهات عديدة واجتهد ليضع من تلاميذه نماذج راقية له ليحملوا بعده أمانة التبليغ ويؤدوا واجب الإرشاد موجهاً إياهم إلى نبع القرآن، فهو أسلوب بليغ من أساليب التربية ووسيلة مثلى لمعالجة النفوس وتقويتها، اعتمده القرآن الكريم في مخاطبة المؤمنين والكافرين على حد سواء، وانتججه الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، فأينع ثماراً زكية وجيلاً قرانياً متفرداً، لأن الإرشاد كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف الأفتدة النافذة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ بما يسلكه من سبل هادئة رفيعة في تذكير الناس وإيقاظ الغافل وتليين القلوب القاسية وترقيق النفوس التي غلبت عليها الأهواء لقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾¹ وكان النورسي يرى أن الإرشاد له أهداف وغايات سامية منها :

- إصلاح الفرد والمجتمع الذي يعد من أعظم المسؤوليات وأهم الواجبات المحيطة بالإنسان المسلم.

¹ سورة آل عمران: الآية 159

- نيل رضى الله وهو من أسمى ما يتمناه المرء "ينبغي أن يكون رضى الله في عملكم فإذا حصل رضائه فلا بأس في سخط الدنيا كلها"¹ ومن الفضائل التي طالب النورسي ان يجمعها المرشد في نفسه: العلم والعفة و الوقار والصبر والتضحية والشفقة والرحمة والاهتمام بأحوال البشر وأن يكون طلق الوجه لين القول حليما مسالما ساعيا لإعلاء كلمة الله والحق وأن يحتسب إرشاده عند الله، ولا يقصد به جلب منفعة أو شهرة أو مال، وهو يؤكد أن الإرشاد إنما يؤتي ثماره ويؤدي الهدف منه إذا ما راعى المرشد درجة استعداد الناس وخاطبهم بما يتناسب مع تركيبتهم النفسية البسيطة خشية أن يضلهم من حيث أراد هدايتهم "إن الإرشاد إنما يكون نافعا إذا كان على درجة استعداد أفكار الجمهور الأكثر باعتباره المعظم والعوام لا يقدرّون على رؤية الحقيقة عريانة ، ولا يستأنسون بها إلا بلباس خيالهم المألوف، ولهذه النكتة صور القرآن الكريم تلك الحقائق بمتشابهات وتشبيهات واستعارات"²

ثانيا/أسلوب القدوة الصالحة: إن الكلمة لا تستمد قوتها وتأثيرها من حلاوتها فقط، بل من واقعها ورصيدها العملي في سلوك صاحبها وإيمانه بها، لذلك كانت القدوة الصالحة أفضل الوسائل وأقربها إلى النجاح لما لها من أثر في غرس القيم الفاضلة. فقد أدرك النورسي أن إرشاد الناس بالأسلوب العملي التطبيقي سيكون له أوقع الأثر في النفس

¹ النورسي: السيرة الذاتية، المرجع نفسه، ص 415.

² _ النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز، المرجع نفسه، ص 167

وأدعى إلى الثبات، واستقراره في القلب لقوله عز وجل: ﴿لقد كان لكم في رسول الله

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله اليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾¹

يعتقد النورسي أن الصبر من أقوى عوامل التأثير في التربية، وأن الفعل أبلغ من

التعبير في القول، وأن من وعظ أخاه بفعله كان هاديا، وهو يشير على مبلغ التأثير

الذي تحدثه القدوة الحسنة في قوله: "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم الأخلاق

والإسلام وكمال حقائق الإيمان، لدخل اتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات

وأفواجا بل وربما رجحت دول العالم وقاراته للإسلام"²

لقد تناول النورسي شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره قدوة

المسلمين في الأقوال والأفعال، والنموذج الأعلى الذي يجب الاقتداء به، لكونه المثل

الوحيد الذي تجسد فيه الإسلام بأوامره ونواهيه، وتشرب روح القرآن حتى صار المثل

الحي له وهذا ما أشارت إليه أمنا عائشة رضي الله عنها: "كان خلقه القرآن" واستخلص

من قوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾³

يؤكد النورسي أن اتجاه الإنسان بكليته ونيته الخالصة للاقتداء بالنبى صلى الله

عليه وسلم ومراعاة أبسط آدابه يورث في القلب تقوى عظيمة، وإيمانا قويا راسخا لما

في هذا الاقتداء من تذكير بشخصية الرسول الأعظم، الذي سيتبع استحضر الرقابة

¹ سورة الأحزاب: الآية 419

² النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 464

³ سورة آل عمران، الآية، 31

الإلهية "فكل من يجعل اتباع السنة عادته يحول عاداته الى عبادات، ويمكنه أن يجعل عمره كله مثمرا"¹

ثالثا/أسلوب القصص : القصة كأسلوب تربوي في المنهج العلمي اتخذت حيزا كبيرا في رسائل النور ولم يكن أسلوبا جديدا بل اقتبسه من القرآن الكريم لقوله تعالى " : ﴿فأقصص القصص لعلمهم يتفكرون﴾"² ففي قصص الأنبياء عليهم السلام وهم صفوة البشر المخصوصون بالحكمة وقوة العقل وسداد الرأي ، إذ يجد المتأمل معرضا خصبا للتجارب العظيمة التي تزخر بطرق وأساليب ومناهج لمواجهة الانحراف في العقول والنفوس والأوضاع ومما لا شك فيه أن الأستاذ النورسي قد تأثر إلى حد كبير بالأسلوب القرآني القصصي بدليل ما نجده ماثورا في رسائل النور من قصص كثيرة لافعة للنظر ، يتخذ منها صاحبها وسيلة هادفة لشد الأسماع وجذب الاهتمام ورسائل النور عامرة بالقصص والحكايات التي يمهد بها صاحبها لشرح حكم شرعي أو توضيح مقصد من مقاصد الشريعة إذ يقول : "إن سبب إيرادي التشبيه والتمثيل بصورة حكايات في هذه الرسائل هو تقريب المعاني إلى الأذهان من جهة ، وإظهار مدى معقولية الحقائق الإسلامية من جهة أخرى ومدى تناسبها ورسالتها.

¹ النورسي: اللغات، مرجع سابق، ص81

² سورة الاعراف آية 176

فمغزى الحكايات إنما هو الحقائق التي تنتهي إليها والتي تدل عليها كتابة فهي إذا ليست حكايات خيالية وإنما هي حقائق صادقة¹

رابعاً/أسلوب ضرب الأمثال :لقد حفل القرآن الكريم بالأمثال التي ضربها الله عز وجل لإبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس وتأثيرها في القلب لقوله تعالى " :﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾"²

لم يفت النورسي الذي استوعب القرآن كله شريعة ومنهجاً وطريقة، أن يستفيد من هذا الأسلوب القرآني التربوي ،ويتخذ منه وسية ناجحة في تنبيه النفوس وتقويم اعوجاجها ،ومخاطبة العقول على حسب درجات استعدادها، وهو يؤكد ان أسلوب ضرب الأمثال قد فتح أبواباً واسعة ويسر له سبل تبسيط الحقائق الإيمانية حتى أصبحت سهلة ميسورة تتقبلها العقول بالفهم والاستيعاب وترتاح إليها النفوس ،فترسخ في الأعماق وتسري في الأبدان سائغة طيبة فقال " :فبمنظار ضرب الأمثال قد ازهرت الحقائق البعيدة ،حتى إنها أصبحت قريبة جداً وبوحدة الموضوع في ضرب الأمثال جمعت أكثر المسائل تشتتاً وتفرقاً ،وباسم ضرب الأمثال قد توصل إلى اسمى الحقائق وأعلىها بسهولة ويسر ،ومن نافذة الأمثال قد حصل اليقين الإيمان بحقائق الغيب وأسس الإسلام مما يقرب من الشهود "³ومن نماذج الأمثال الكثيرة التي تزخر بها رسائل النور

¹ النورسي: الكلمات، المرجع نفسه ، ص47

² سورة العنكبوت: الآية 43

³ النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص478

نذكر تمثيله الرئيس الذي يكابد المصاعب والمتاعب من أجل راحة رعيته بالجبل العالي الذي يتحمل أثقال ومشاق الثلج والبرد بينما الأودية والسفوح تحته زاهية مخضرة.

خامسا/أسلوب الترغيب والترهيب: لقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الترغيب والترهيب كوسيلة تربوية تستند إلى طبيعة تكوين النفس البشرية التي تتركب من الرجاء والخوف فإذا خافت من أمر تهيأت للإحجام عنه وتحاشت الاقتراب منه ،ولقد تنبه النورسي إلى هذا الأسلوب التربوي فأوضح أنه فرع من فروع تجلي الجمال والجلال الإلهي ،وهو يرى أن تكرار أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن إنما ورد بهذا الشكل لحكم بالغة ،منها إشفاق الله تعالى على ابن آدم من أن يزلّه الشيطان بوسوسته فيبيع آخرته التي سيؤول إليها حتما ،فكان أسلوب الترغيب والترهيب حائلا بين المؤمن وبين الانغماس في لذات الدنيا ،ودافعا لفعل الخير وطمعا في ثواب الله سبحانه وتعالى "إنه لمحير جدا إن ترى قسما من الناس الضعفاء يتبعون خطوات الشيطان لتفضيلهم لذة زائلة ،في هذه الدنيا على لذائذ ذلك النعيم الخالد ،في حين يفوق نور أبدي بمقدار جناح بعوضة من ذلك العالم السرمدي الخالد جميع اللذات والنعم التي اكتسبها الإنسان طول حياته كما هو ثابت في الحديث الشريف وهكذا من أجل هذه الحكم والأسرار كرر القرآن الترغيب والترهيب، وأعادهما ليزجر المؤمن ويجنبه الذنوب والآثام ويحثه على الخير والصلاح"¹

¹ النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز، مرجع سابق، ص76

لكي يؤتي أسلوب الترغيب والترهيب أكله وثماره ويفعل فعله في النفوس لابد من المحافظة على الطريقة التي اتبعها القرآن، والتي تتسم بالوسطية والاعتدال ونهى الأستاذ النورسي عن المبالغة في استخدام هذا الأسلوب حتى لا يؤدي الى نتائج عكسية إذ يقول: "فكما أن الاستزادة من دواء شاف قلبه إلى داء كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب، المستغني عنها الحق، كجعل الغيبة كالقتل أو إظهار القبول وقوفا بدرجة الزنا¹"

سادسا/الأسلوب الإقناعي البرهاني: يقول النورسي: "وما جعل الإسلام يتجلى دوما وتكشف حقائقه... إلا تأسسه على الحقيقة وتقلده البرهان ومشاورته العقل واعتلاءه عرش الحقيقة ومطابقته دساتير الحكمة المتسلسلة من الأزل إلى الأبد ومحاكاته له²" ويقول للذين يحاولون النيل من الإسلام: "زنوا الأمور بالمحاكمة العقلية³، ولا تتخذوا ولا تكتفوا بالنظر السطحي، فهؤلاء الذين أصبحوا سببا لأعدائكم الواهية في نقد الإسلام يسمون بلسان الشريعة _ علماء سوء _ وسترون أن مطل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع يتلأأ عليه نقش الأزل والأبد"⁴ فكل الحقائق التي دافع عنها النورسي كانت بأسلوب برهاني إقناعي يصل إلى العقول مباشرة فكان يقنع بها العدو قبل الصديق.

¹ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص114

² النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص50

³ هناك فرق بين المحاكمة العقلية والمحاكمة العرفية كون الأولى يتدخل العقل بكل مدركاته والثانية سطحية

⁴ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق ص52

المطلب الثاني: وسائل المنهج النوري

أولاً/رسائل النور: (ترجمها إلى اللغة العربية الأستاذ إحسان قاسم الصالحي)¹

إن رسائل النور هي منهل ثري ومنبع قرآني صافي تحفظ على الناس دينهم، وتشد بأياديهم إلى طريق الدعوة، ويقول النورسي: " لا تسعى رسائل النور إلى إصلاح قلب خاص ووجدان معين، بل تسعى للإيقاظ وبيدها إعجاز القرآن لمداواة القلب العام المجروح وضمان الأفكار العامة المكلومة من الوسائل المفسدة التي هيئت لها وحشدة متراكمة منذ ألف سنة"²

تفيض رسائل النور بمعاني النور إذ هي مدرسة قائمة بذاتها لها أسسها المحكمة، ومعالمها الواضحة ومنهاجها التربوي البين "، تحمل رسالة لأبناء الإسلام خاصة وللعالم كافة، فهي أعمال رسالية توجيهية وظيفية، القصد منها إرسال وإيصال المضامين الإسلامية حيّة إلى العقل والقلب وتوجيه المقاصد والأسرار القرآنية إلى النفس والوجدان والشعور"³

فرسائل النور هي تفسير لقيم القرآن الكريم ولمعة بَرَاقَة له ورشحه من رشحاته، وملامح جماليتها راسخة منثورة مبنوثة في كل صفحاتها، وتتجلى في كون صياغتها

¹ احسان قاسم الصالحي: مترجم رسائل النور من اللغة التركية الى اللغة العربية، ولد بالعراق، سنة 1936 وهو

الآن مدير مؤسسة الثقافة والعلوم باسطنبول اطال الله عمره في خدمة الدين الاسلامي

² النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص118

³ امحمد الروكي: مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية، العدد 5 ص10

جامعة وأحكامها عديدة وحكمها بالغة، فإذا قرأت رسائل النور متكاملة في نسقها العام أدركت أنها قد نبعت من قلب متفجر بالإيمان، متشبع بالقرآن، وعلمت أنها سالت من فكر شمولي عميق، قوامه السعة والتنوع وقوة التحليل والتعليل، أصولها القرآن والسنة والعلوم الشرعية والقيم الإسلامية، "إن رسائل النور ليست طريقة صوفية بل حقيقة، وهي نور مفاض من الآيات القرآنية، ولم تسق من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمن"¹ ويقول كذلك: "انبعثت حقا من نور القرآن، لذا نبع هذا الإسم من صميم وجداني فأنا على قناعة تامة وبقين جازم بأن هذه الرسائل ليست مما مضغته أفكارني، وإنما هي إلهام إلهي أفاضه الله سبحانه وتعالى على قلبي من نور القرآن الكريم... وهكذا تلقفتها الأيدي الأمانة بالاستنساخ والنشر فأيقنت أن هذا تسخير رباني وشوق إلهي لحفظ إيمان المسلمين"² تضم رسائل النور تسع مجلدات أملاها على طلابه في ظروف قاسية وهي: **الكلمات**: تضم ثلاثا وثلاثين رسالة حول العبادة والعقيدة والصلاة... الخ

المكتوبات: تضم ثلاثا وثلاثين رسالة حول موقع جهنم وحياة الخضر عليه السلام والفرق بين الإيمان والإسلام ومعجزات سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والحكمة من تدبر المصائب والموت والمرض... الخ

¹ النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص 202

² النورسي: الملاحق، مرجع سابق، ص 284

_المعمات: تضم ثلاثين رسالة حول الدروس المستخلصة من مناجاة سيدنا يونس وأيوب عليهما السلام وحكمة الاستعادة من الشيطان ومذكرات في العروج إلى المعرفة الإلهية... الخ

_الشعاعات: تضم خمسة عشر رسالة حول أسرار الإيمان وثمرات التوحيد وأشرط الساعة

_إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز: تحدّث فيه عن بلاغة القرآن وقد كان يملي هذا المجدّد على طلبته ورصاص الروس ينهال عليهم من كل حذب وصوب.

_المنثوي العربي النوري: يضم إثننا عشرة رسالة حول التوحيد والنبوة وإثبات الحشر وثمرات الإيمان ومعرفة الله تعالى.

_الملاحق في دعوة النور: تناول تهذيب النفس الإنسانية والصبر عند البلاء وطريقة معاملة الناس وهي ثلاث مجلّدات (بارلا-قسطموني-اميرداغ-)

_صيقل الإسلام¹: تناول تفسير بعض القواعد الفكرية اللازم اتباعها، ومحاكمات الخطبة الشامية والخطوات الست.

_سيرة ذاتية²: سيرته الذاتية أعدّها الأستاذ إحسان قاسم الصالحي.

¹ صيقل الإسلام هو كتاب الفه النورسي يشرح فيه المحاكمات والخطبة الشامية

² سيرة ذاتية الفها النورسي وترجمها احسان قاسم الصالحي الى العربية

تعتبر هذه الرسائل من أعظم وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية، فهي رسائل مرشدة ومنبهة وواعظة، فهي مبنية على فكر تأسس على فقه خطاب القرآن الكريم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانيا/التعليم: يعد التعليم في نظر النورسي الطريق الأول لأحداث نهضة علمية عملية، ومن ثمة توجه بكل همته إلى التعليم وقد دعا إلى إنشاء جامعة الزهراء في شرق الإناضول تدرس فيها العلوم الدينية والدنيوية فبامتزاجهما يمكن تحقيق التقدم للأمة الإسلامية وقد أثمر هذا الجهد كثيرا في الواقع العملي وطلبة النور دليل على ذلك "كنت ألمس الوضع الرديء الذي كان يعيشه أهالي الولايات الشرقية، فأدركت أن سعادتنا الدنيوية ستحصل بالعلوم الحديثة الحاضرة من جهة والعلوم الدينية من جهة أخرى"¹

ثالثا/تأهيل الدعاة: كي يتحقق الفعل التربوي الدعوي الإصلاحي لابد من تأهيل الدعاة، والتأهيل بمعنى الارتقاء بالاستعدادات المعرفية والثقافية والعلمية والخلقية واللغوية للدعاة بحيث يكون ذلك مقدمة للدعوة الجادة المنشودة عبر الزمن ومن وسائل الدعوة:

المسجد: فأهميته في العمل الإصلاحي فعالة من خلال الموعظة والخطبة لذلك كان النورسي خطيبا ممتازا يملك أسلوبا راقيا في الخطابة والفتوى،

¹ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 450

المناظرة والمحاورة:

برز في هذا المجال منذ صباه بداية بدراسته لعلوم عصره كاشفا عن تقصير بعض العلماء لأداء الدور المنوط برجال العلم، أما الحوار فنجدته في رسائل النور فتارة مع نفسه كاشفا عن عللها وأمراضها ليجد لها حلا (محاورة مع نفسي-حوار مع النفس-يا نفسي المغرمة بالفخر-يا نفسي اللغوية) ، وأحيانا يحاور الكون ليكشف عن إبداع الخالق "ارفع رأسك يا اخي، وألق نظرة في الكائنات وحاورها"¹، وأحيانا أخرى يحاور الغير حين توجه إلى كل فئات المجتمع (الشباب-النساء-الأطفال-الشيوخ-المرضى الطلاب)

رابعا/المرافعات القضائية²: بدل أن تكون المحاكمات وسيلة لإدانة النورسي من قبل الاستعمار أصبحت وسيلة من وسائل الدعوة عنده إذ يقول " : "قد كنت آمل أن يهين لي موضع لأبين فيه أفكاري، وها قد أصبحت هذه المحكمة العرفية خير مكان لاثبت منه أفكاري"³

¹ النورسي: الكلمات، مرجع سابق، ص839

² نقصد بالمرافعات القضائية تلك التي كان النورسي يحاكم فيها كمتهم فيحولها الى خطبة يهدي بها الكثير بأذن الله

³ النورسي: محاكمات عقلية، مرجع سابق، ص11

خامسا/ السجن: لم تكن السجن عقبة مضيئة أوقفت مسار دعوته بقدر ما كانت "مدرسة يوسفية إرشادية توجيهية وعلمية، يدخلها النورسي كما يدخل الأساتذة الجامعات لإلقاء الدروس لأن المسجونين يعدون تلاميذ يحتاجون إلى إرشاد¹ "

لقد حوّل النورسي تلك الخلوة الموحشة في السجن إلى ما يشبه كهف أصحاب الكهف، أو ما يشبه مغارات الزهاد، فكانت أنسا وسعادة واطمئنانا وسكينة، فسعى بكل إخلاص في كتابة رسائل النور.

¹ النورسي: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص24

المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة مع المنهج العلمي

المطلب الأول: الإنجازات المحققة:

لقد حدد النورسي أهدافه مسبقا ثم اتبع منهاجا علميا كفيلا بتحقيق تلك الأهداف وكانت واضحة وجلية أهمها:

-إنقاذ الإيمان

-إصلاح الفرد والمجتمع

-بعث مقومات التغيير في النفس البشرية

-طلبة النور كتجسيد فعلي للمشروع النوري

ومقارنة بين أحوال الشعب التركي خاصة والإسلامي عامة، قبل وبعد المشروع الإصلاحى النوري، خاصة بعد انتشار رسائل النور في كل بقاع العالم، يمكننا تسجيل إنجازات هامة على جميع الأصعدة، وهو ما قاله الإمام النورسي على لسان طالبه محمد افرنجي: " لقد قصمت العمود الفقري للكفر والإلحاد، ولن تقوم له قائمة في المستقبل¹ "

أولا/إنقاذ الإيمان: تبين النورسي بأسلوبه الرائع حقائق النعم والآلاء التي سخرها له سبحانه وتعالى لسعادة الإنسانية ونجح في ذلك فهي تدل على أن أهم شيء للإنسان هو الإيمان وهذا الأخير يمنح له حياة طيبة، وله فيها راحة وسعادة في كل مرحلة من مراحل الحياة، وقد استطاع النورسي بدراسته الإنسانية وثقافته الواسعة وتعمقه في

¹ محمد افرنجي: على لسان استاذة النورسي، مجلة النور ، مرجع سابق،ص134

دراسة القرآن في قلوب الناس، لأن عصره فرض عليه هذه المهمة، وذلك عن طريق :

-الجمع بين العلوم الدينية والعلوم العصرية

-استخدام أسلوب الموضوعية والموازنة

-استخدام دلائل ثابتة بالعلم والتكنولوجيا

-استخدام وفرة الأمثال التي توضح المدلول المجهول

"فمن أبرز مميزات المنهج النوري في إيقاظ الإيمان أنه يأتي بالدلائل العلمية والمادية

ولكنه في نفس الوقت يريد أن يقوم بتربية النفس تربية إسلامية روحية، فيفتح عيون

القلب وعيون الرأس، بل يهز جميع الأجزاء الحساسة التي يتكون منها الإنسان وهو

بدون شك يتفرد بهذا الأسلوب، وليس هذا إلا أسلوباً قرآنياً¹ "

ويقول النورسي: "إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ أن هناك لطائفاً كثيرة بالنسبة

للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى

مختلف العروق، حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن

طريق العلم، إذا ما دخلت معدة العقل، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم، كالروح

والقلب والنفس، تأخذ منها وتمصها حسب درجاتها، فإذا فقدت لطيفة من

¹ _ عماد الدين خليل: رؤية جمالية في الكلمات، المؤتمر العالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، إسطنبول،

اللطف غذائها المناسب، فالمعرفة إذا ناقصة مبتورة وتضل تلك اللطيفة محرومة منها¹

إن الإنسان بهذا التصور العقلي الواضح كما بينه النورسي يجعله سلطان الكون المستحق للتكريم الإلهي الذي قال فيه: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾²

للإيمان مقاصد كثيرة منها الفكرية والعقلية، كفهم حقيقة الوجود وحقيقة امتحان الإنسان، ومنها النفسية الوجدانية كالصبر عند البلاء والمرض والموت إيماناً بالقضاء والقدر وبالأخرة ومنها الاجتماعية من خلال المعاملات.

ثانياً/إصلاح الفرد والمجتمع :يرى النورسي أن الفرد هو أساس المجتمع، ولا يمكن إصلاح مظاهر الاعوجاج والفساد إلا إذا ارتكز هذا الإصلاح على الأفراد الذين يتكون منهم ذلك المجتمع، وقد تحقق هذا الهدف في دعوته من خلال طلبة النور الذين عملوا على نشر الرسائل فغزت العقول قبل القلوب، فتغيّرت النفوس وأصلح ما فيها من فساد، فأنتجت ثماراً يانعة في تركيا والعالم الإسلامي وانتهت إلى جهاد معنوي كبير وشامل، انتهى إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في مجتمعه ينشر حقائق الإسلام بالتلمذة على رسائل النور، وتعميق الإيمان في النفوس من أجل التغيير،

¹ النورسي: المكنوبات، مرجع سابق، ص413

² سورة الاسراء: الآية 283

لذلك نجد النورسي يدعو الى إصلاح النفس وإنقاذ الإيمان فيها فإذا صلحت صلح البدن كله.

ثالثاً/بعث مقومات التغيير في النفس الإنسانية: منذ أن انطلق في عملية التغيير والإصلاح، استتبع معه فكر العمل الجماعي وتظهر هذه الفكرة بداية بالتفسير، فهو يرى أن الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لشروط العصر وظروف الواقع، هو أن ينهض جماعة من العلماء، كل في تخصصه ويقومون بدراسات مفصلة في زاوية من زوايا القرآن العظيمة، فيتحصل بمجموع دراساتهم على تفسير جامع للقرآن الكريم، مستجيب لمستجدات العصر، ولقد رأينا هذا المنهج الجماعي قد طبقه عملياً مع جماعته وطلبته، "فمهمة الإصلاح لا يضطلع بها رجل واحد بل تتحد جهود مئات من الأفراد، فالزمان هو زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية"¹ في سبيل التغيير شخّص النورسي أمراض الأمة في الخطبة الشامية التي ألقاها

في المسجد النبوي وجسدها في ستة أمراض مع تحديد وصفات علاجها وهي:
حياة اليأس الذي يجد أسبابه وبعثه.

-موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

-حب العداوة.

-الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

¹ النورسي: الملاحق، مرجع سابق ص154

-سريان الاستبداد وسريان الأمراض المعدية المتنوعة.

-حصر الهمة في المنفعة الشخصية.

وعلاج هذه الامراض موجود في صيدلية القرآن الكريم، وقد شخصها النورسي

كما يلي - :الأمل :أي شدة الاعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها.

- الصدق :هو أساس من أسس الإسلام والبعد شاسع بين الصدق والكذب بعد ما بين الشرق والغرب.

- المحبة :أجدر شيء بالمحبة هو المحبة نفسها.

- الشورى :مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية إنما هو اتخاذهم الشورى

في جميع أمورهم لقوله تعالى: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾¹

رابعا/طلبة النور كتجسيد فعلي للمشروع النوري :

يعتبر طلاب النور ترجمة أمينة لمدرسة النورسي الدعوية، ركز فيها النورسي

على الدعوة إلى حقائق الإيمان، والعمل على تهذيب النفوس، محدثا بذلك تيارا إسلاميا

في محاولة منه للوقوف أمام المد الماسوني الكمالي، الذي اجتاح تركيا عقب سقوط

الخلافة العثمانية، واستلاء أتاتورك على الحكم، وقد استند طلابه إلى عدد من الأسس

الفكرية، منها العودة إلى الإسلام بنقائه الأصيل، والتوحيد وتأكيد وجود الله والاجتهاد

والجهاد ، ورفض الأسس الثقافية للحضارة الغربية، وقد نجح طلبة النور باستنادهم

¹ سورة الشورى، آية 486

على متن رسائل النور، ونظرا لكونها أكثر جماعة تأثيرا في المجتمع فقد عرفت كيف تستفيد من الأبعاد الإيجابية والسلبية للكماليين، كما أن طلبة النور تعلموا كيف يخاطبون العقل أكثر من القلب، وقد كان النورسي رحمه الله ليسعى لجعل القلب الذي هو محل الإيمان تابعا للعقل.

من بين التغييرات التي أحدثها طلبة النور في المجتمع التركي بصدقهم وإخلاصهم:

-مدارس النور: فتحت طلبة النور مدارسهم لكل الناس واجتماعهم مرة كل أسبوع، الأمر الذي سمح بانتشار أفكار الإمام النورسي والاجتماع يكون من أجل قراءة رسائل النور وتعاطي الآراء وتقوية الهوية الإسلامية وتدارس القضايا الإسلامية.

-الطباعة والنشر: بدأت بداية صغيرة سرعان ما نمت وكبرت بعزيمتها وصبرها وإخلاصها إلى أن وصلت رسائل النور إلى كل بقاع الأرض.

أقسام طلبة النور وإنجازاتهم :

جماعة فتح الله كولن¹: أسست هذه الجماعة مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية، بلغ عددها أكثر من مئة مدرسة في تركيا ولغة الدراسة هي الإنجليزية، وهي من أرقى المدارس في تركيا من حيث التعليم والتدريس، فهي تدرس كل العلوم وخارج تركيا أنشأت حوالي مائتي مدرسة في أغلب قارات العالم: أوروبا، أمريكا، أفريقيا، آسيا.

¹ فتح الله كولن: مفكر إسلامي وداعية تركي ولد 1941.

جماعة الجيل الجديد: تضم الطلاب القدامى الذين رافقوا النورسي ويعملون على النهج

القديم يركزون على تدارس رسائل النور وترجمتها.

جماعة وفق الزهراء: اهتمت بمشروع النورسي وحلمه في إنشاء جامعة الزهراء، ويتوقع

أن يكتمل في السنوات المقبلة، كما تنتشر الدعوة الإسلامية وهي أوسع أفقا وأكثر مرونة

في مناقشة آراء الامام النورسي، وقبول النقد الموضوعي.¹

جماعة الخدمة: لها مراكز داخل تركيا وخارجها، وإذا دققنا النظر في هذه الجماعات

وجدناها متكاملة النشاطات وكأنها وزعت الأدوار فيما بينها.

لقد رسم النورسي منهجا لتجديد الحياة الإسلامية في تركيا والعالم الإسلامي، وإنقاذ

الايمان بالبرهان العقلي والعملية من بين برائن المادية التي كانت تجتاح العالم، يومئذ

ركز فيه على - تغيير البنية التحتية للإنسان: أي الإصلاح من أعماق القلب والروح

والنفس، وهذه الأخيرة هي التي توحد الصف وتوقظ العقل أمام الحضارة الغربية الجارفة.

- اعتماده الحوار الحضاري: أظهر بأدلة قاطعة أن الإسلام عقيدة وشريعة وسلوك

حاور النفس والعقل والقلب والروح، تجاوزهم إلى الآخر على اختلاف ديانته ثم إلى

الوجود ككل من الذرة إلى المجرة إلى الكون كله.

¹ _ هذه المعلومات اخذتها من بحث قام به الدكتور حسن عبد الرحمن بكير، عنوانه النورسي واثره في الفكر

والدعوة، ص 215

المطلب الثاني: إمكانية الاستفادة منها في الواقع المعاصر

لقد استطاع النورسي أن يدفع المسلمين إلى قلب القرآن الكريم في إطار الصراع

الحضاري المعاصر، من خلال تفسير كتاب الله، ويشمل ثلاثة قراءات:

-قراءة الكون الرحب من خلال تجليات أسماء الله الحسنى.

-قراءة القرآن الكريم في ظل القراءة الأولى

-قراءة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والتقدوة الواقعية.

من خلال هذا المنطلق يمكن تجديد الإسلام بفهم القرآن فهما عميقا يواكب

متغيرات العصر، وقراءة جديدة لا تدعو إلى النكوص للوراء ولبس عباءة الأجداد

مظهرا لا مضمونا، ولا تدعو إلى سحب التاريخ الماضي بتفاصيله إلى الزمن

الجديد، إنما دعوة إلى أن الفكر الإسلامي بروافده، يمكنه أن يتجدد في هذا العصر

وفي كل عصر قادم حسب المستوى الحضاري الذي وصل إليه.

أولا: التعامل مع الحقائق بإيجابية وواقعية: من خلال هضم رسائل النور

للمعارف الإسلامية بأدق تفاصيلها والمعارف الكونية، يمكن فهم الحياة الإنسانية

وكينونة الإنسان ببسر وسهولة، فيبعد عن المادية والإلحاد والقنوط، ويتقرب من ساحة

الإيمان الرحب والشريعة السمحة والقيم المنبثقة من الصفات الإلهية حيث تقودنا

رسائل النور إلى المعنى الحقيقي للوجود ولتوحيد كماله سبحانه وتعالى.

ثانيا/ علاج الأمراض والتعامل معها بإيجابية: من خلال القراءة المتكررة لرسائل النور تتعمق فكرة الصبر على البلاء وكيف يبدو السجن للإنسان أنسا والمرض نعمة والفقر راحة من آفات كثيرة، إذ يعلمنا النورسي كيف نقلب كل شيء يبدو لنا سلبيا إلى مفهوم إيجابي يمكن استثماره والخروج منه بفائدة عملية مفيدة، خاصة في رسائله الموجهة إلى المرضى والمسجونين والمصابين بابتلاءات وكبار السن، فأعطى للامتحانات الإلهية قيمة إنسانية وروحية.

ثالثا/عدم الدخول في صدامات مع التيارات الأخرى: معرفة طبيعة العصر جعلت النورسي لا يتخذ موقفا عدائيا مع أية دعوة أو جماعة سياسية، بل بالعكس وجه لهم الدعوة جميعا حتى يدخلوا في دائرة الإسلام، على الرغم من أخطاءهم المنهجية وانحرافاتهم السياسية من هذا المنطلق نتعلم أن لا نهاجم الغير أو نعاديهم، فننقل له صورة سلبية على الإسلام، بل لابد من تبليغ الدعوة ببسر وسهولة حتى يكون هناك محبة ووحدة من أجل تكوين مجتمع شامل وآمن، لتجنب الانحرافات اليومية الفاسدة، فالجهاد الحقيقي في عصرنا لا يوجه المسلمين داخل العالم الإسلامي (كما هو الحال في الأمة الإسلامية اليوم) بالعكس لابد من الاتحاد ونسيان الخلافات لتوجيه الجهاد إلى خارج العالم الإسلامي، أما الداخل لابد أن يكون جهاد دعوة علم، عمل، بذل وعطاء، نصيحة لإعادة المسلمين إلى حظيرة الأخوة والإسلام.

رابعاً/الجهاد بالعلم والإيمان لتكوين جيل قادر على القوة والسلاح: تبين لنا من خلال دراسة منهج النورسي العلمي أن الجهاد ضد العدو الآن لا يكون بالسيف والقوة قبل مرحلة الفكر والعلم وتعميم الإسلام وقوة الإيمان، حتى نخرج من الإفلاس الروحي الذي نحن فيه خاصة فئة الشباب الذي لا يعلم قيمة المسؤولية الملقاة على كتفه، فهي الفئة المعول عليها في إنقاذ الأمة، فالمسلمون اليوم عليهم أن يواجهوا الغرب بسيف القرآن والعلم، إذا أرادوا الهداية إلى نور الإسلام.

الفصل الرابع

الموازنة بين المنهجين.

الفصل الرابع: الموازنة بين المنهجين .

المبحث الأول: أوجه التشابه

المطلب الأول: من حيث المنهج

المطلب الثاني: من حيث المضمون

المطلب الثالث: من حيث الأهداف

المبحث الثاني: علاقة التأثير والتأثر بينهما

المطلب الأول: موقف ابن باديس من أحداث العالم الإسلامي

المطلب الثاني: موقف النورسي من أحداث العالم الإسلامي

المبحث الثالث: القيمة المضافة (رسائل النور)

المطلب الأول: أثر رسائل النور في العالم العربي

المطلب الثاني: أثر رسائل النور في العالم الغربي

المبحث الأول: أوجه التشابه

المطلب الأول: من حيث المنهج:

رام الإمامان تحقيق نهضة علمية عملية بمنهج متشابه في كثير من النقاط منها الأصول والخصائص والمنهج البرهاني القائم على الجمع بين القلب والعقل وتنوع خطابات الإثبات "ويعد استصحاب هذه الميزة ديدن كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين فمن المتقدمين الغزالي الذي يميز بين أسلوب القرآن في التأسيس للعقائد وأسلوب علم الكلام، وهو الكلام نفسه تقريبا الذي نجده مرددا عند عبد الحميد ابن باديس والنورسي"¹

هناك نقاط تشابه كثيرة بين المنهجين استنتجناها من هذه الموازنة "الموازنة التي تقتضي التكامل الإيجابي الوظيفي بينهما الذي يفضي إلى تكوين الرجل الرياني الذي ينهض بالأمة ويوقظها من سباتها"².

تشابه منهجها لدرجة الالتقاء وكأن الفكر واحد" فكلاهما انفعلا بالقرآن، فكانا محاميل للفكر، وكانت الأداة هي التلاميذ، فكلاهما دفع إلى التربية، إلى الرجوع إلى المدرسة، إلى الأصول إلى التفتح وكانت الوسيلة هي الدعوة"³.

¹ عمار جيدل: بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الايمانية، شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، ط1 2001 ص81

² عمار جيدل : في حديث خاص معه اثناء الندوة العالمية السابعة للأكاديميين الشباب 2015

³ عشراتي سليمان: في حديث خاص معه اثناء الندوة العالمية للشباب الاكاديميين 2015

كلاهما استراتيجي، يؤمن بفقهِ الأولويات، فهما يعيدان البوصلة للحضارة، كما أن كلاهما تجرّد من الدنيا وطلّقها، فالنورسي لم يتزوج قط وتفرّغ للدعوة ونجح فيها أما ابن باديس فلم يتزوج بعد فراقه لزوجته وتوجه للدعوة والإرشاد، "فكلاهما جبار، احتل كل منهما مركزية العالم في زمنه غير أن ابن باديس لم يطل به العمر الإصلاحية (عشر سنوات) في حين منّ الله على النورسي بعمر طويل سخّره للدعوة، فجاهد بالنفس والنفيس من أجل إنقاذ الأمة بإنقاذ إيمانها فجزاهما الله كل الخير وأسكنهما فسيح جنّاته، ومنحنا القوة والإخلاص للمضي في طريقهما.

أولا/ المرجعية الدينية: اعتمد كل منهما على تفسير القرآن والسنة النبوية الشريفة من أجل تنشئة جيل واع بأهدافه، مدرك لحقيقة الخطر الذي يدهمه، إذ نجد ابن باديس يعمد إلى إحياء حاسة التدبر لآيات القرآن من خلال كتابيه "مجالس التذكير" وكذلك النورسي الذي بدأ دعوته منطلقاً من القرآن الكريم الذي قال فيه "لقد برهنا للعالم أن القرآن شمس معنوية لا يخبوا سناها ولا ينطفئ نورها"¹ واعتبر الرسول صلى الله عليه وسلّم القدوة والإمام والمرشد لكل حركة تغييرية ومرجع لكل العصور

¹ النورسي: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 89

فقد قال: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل للبشرية كافة قدوة وإماما ورائدا كي نتعلم منه مناهج الحياة الاجتماعية والشخصية ودساتيرها"¹

ثانيا/ الواقعية :

كان فقه الواقع الإنساني نقطة مشتركة بينهما وركيزة أساسية في منهجهما ،من خلال النزول إلى أرض الواقع لاستجلائه، وكذا فهم سنن الكون من أجل عملية التغيير ، فقد استطاع ابن باديس أن يقيم منهجه على تشخيص الواقع وتحديد المشكلة وتصور الحل، لهذا سخر كل الإمكانيات المتاحة لتحقيق هدفه (مدارس، جمعيات، صحافة)، ونجده يقول:"إننا نعلم النحو والفقه والأصول وما شبهها طيلة النهار، أما التاريخ والجغرافيا وكل ما له علاقة بالوطن والوطنية ،فإننا نتركه لليل عندما تنام الشياطين"²، وكذلك النورسي كان يملئ رسائل النور على طلبته ليلا ليجوبو بها أنحاء الوطن في ظلام الليل حتى لا يراهم العدو وكان يكتب ورصاص الروس ينهال على رأسه ، وكثيرا ما حكم عليه بالإعدام في سبيل إنقاذ أمته.

إن هذه الروح الثورية، وهذا الإخلاص الذي يتقد حماسا ووطنية، لا يصدر إلا من شخص يرى بنور الله، الذي أملا عليهما المواقف الإصلاحية المتفردة الهادفة لمحاربة الجمود، هذه الروح التي جمعت بينهما فكان المنهج واحدا.

¹ للنورسي: المعات، المرجع نفسه، ص114

² عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند ابن باديس، مجلة المواقفات، العدد السادس، 1997 ص308

ثالثاً/ التدرج والمرحلية: نقطة الالتقاء هذه في منهج الإمامين كانت واضحة وجلية فبدأ بإنقاذ الإيمان وتجديد العقيدة باعتبارها أولى الأولويات، ثم تدرّجاً إلى إصلاح المجتمع، فقد تعاملنا مع الواقع وفق التدرّج السني، فالوحي لم ينزل دفعة واحدة بل بالتدرج، فاستطاعا ترتيب الأولويات مع متغيرات الزمان والمكان، وما ابتعادهما عن السياسة في مرحلة من المراحل إلا دليل على فقه الأولويات.

رابعاً/ البعد عن السياسة: إن تجربة الرجلين والظروف المحيطة بهما، ساقتهما إلى نفس الموقف إذ يقول ابن باديس: "إن ما جمعه يد الله لا تفرقه يد الشيطان" ويقول النورسي: "أعوذ بالله من الشيطان والسياسة"¹ فقد سبق العمل الدعوي على الولوج في ساحة السياسة، حتى في نقطة العودة إلى السياسة تلبية لنداء الوطن تشابه الرجلان فلم يتركوا السياسة قناعة، بل لأسباب مرحلية فقط، بالعكس كانا سياسيين بارعين فاقا سياسي عصرهما فقد راوغا الاستعمار وموّهها فكره وأبعدها عن ساحتهما حتى يخلو لهما جو الدعوة، وفي الوقت المناسب أبديا رأيهما في المواقف السياسية دون أن يخشيا في الحق لومة لائم .

¹ النورسي: المكتوبات، مرجع سابق، ص62

المطلب الثاني: من حيث المضمون:

كان مضمون الفكر الإصلاحى عند الامامين مشتركاً، لأن الهمّ واحد، فقد سخرا كل السبل الممكنة للإصلاح، إذ نجدهما اشتركا في تحديد أمراض الأمة ووصف العلاج القرآني لها، كما قاما بتفسير القرآن، لزيادة رصيد المؤمنين.

قسم ابن باديس أمراض الأمة إلى قسمين:

أمراض أرواح، وأمراض أبدان " لا نجاة لنا من التيه الذي نحن فيه، والعذاب الذي نقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم"¹ ويقول كذلك "وقد جاء القرآن الكريم مبينا الأخلاق الفاسدة، ذاكرا سوء أثرها وقبح مغبتها، مبينا كذلك الأخلاق الصحيحة وعظيم نفعها"² كذلك الإمام النورسي عدّد أمراض الأمة ووصف العلاج القرآني لها، لقد تعلّمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية، وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب نحو المستقبل"³

كانت الرؤية المستقبلية واستشراف الحقيقة الإسلامية فيها، موحّدة بين الإمامين

نحو مستقبل زاهر للأمة الإسلامية، فسارا نحو الهدف بخطى ثابتة ومنهج دقيق.

¹ ابن باديس: الشهاب، ج3 مرجع سابق، ص75

² تفسير ابن باديس للآية: ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ من كتاب مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير نقلا عن كتاب رايح تركي: عبد الحميد ابن باديس رائد لاصلاح والتربية في الجزائر، ا لمرجع نفسه.

³ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص499

"لقد وعى ابن باديس كطبيب روحي واجتماعي أسباب الداء في المجتمع، فعمد الى تشخيص الأمراض ووصف الأدوية"¹

المطلب الثالث: من حيث الأهداف

اشترك الإمامان في نفس الأهداف والغايات فقد كان الهم واحد والمنهج واحد والنقاط المرتكز عليها واحدة وتمثلت في:

أولاً/ ترسيخ العقيدة في القلوب

أدرك الإمامان أن أعظم خطر على المسلمين هو فساد العقيدة، فكانت القضية المحورية هي تصحيح العقيدة وإنقاذ الإيمان في قلوب أفراد المجتمع، وحين يتحقق هذا الهدف تتحقق كل الأهداف الأخرى" إن انتسابنا لهذه الجمعية معناه التعاهد والتعاون على تنفيذ المرامي التي ترمي إليها والمبادئ التي تسعى إليها وأصول هذه المبادئ: إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب والسنة ونشرهما بين الناس حتى يرجع لهما سلطانهما على نفوس المسلمين " وكذلك النورسي، فهو يعتبر الإيمان أكثر من تصديق قلبي ومعارف مكنونة في الوجدان بل هو "النور الحاصل بالتصديق بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلاً في ضرورات الدين وإجمالاً في غيرها"²

¹ عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند ابن باديس، مجلة المؤلفات المرجع نفسه ص292

² النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز، مرجع سابق، ص51

ثانيا: إصلاح الفرد لإصلاح المجتمع

التقى الفكران في هذه النقطة الجوهرية بحيث أكد ابن باديس على هذه النقطة في قوله: "إن الذي نوجه له اهتمامنا الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله"¹

ويقول كذلك "فصلاح النفس هو صلاح الفرد وصلاح الفرد هو صلاح المجموع والعناية الشرعية كلها متجهة نحو إصلاح النفوس... فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل"²

ثالثا: إصلاح النفس أساس إصلاح الفرد والمجتمع

يرى الإمامان أن التغيير والتجديد يبدأ بإصلاح النفس التي تشمل القلب والروح، فقد تمكن الاستعمار من الأراضي الإسلامية لوجود هذا الفراغ الروحي الذي يظهر في ضعف الدين، وانحراف العقل وخواء الروح واضطراب الأحوال والهزائم النفسية، لذلك أساس إصلاح المجتمع هو التركيز على إصلاح الفرد الذي سيؤدي حتما إلى إصلاح العقيدة ووحدة الأفكار ووحدة الصف واليقظة.

¹ عبد الحميد ابن باديس: الشهاب، ج7 المرجع نفسه، ص423

² _ عبد الحميد ابن باديس: مجالس التنكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع نفسه ص183

إن مرجعية المفكرين واحدة هي المرجعية الدينية، والقاعدة واحدة هي الفرد والمجتمع، والمنهج واحد هو التربوية، فقد أثبت كل منهما أن المدخل لإصلاح المجتمع هو إصلاح الفرد ولا يكون ذلك إلا بإصلاح نفسه، لقوله تعالى: ﴿إِن اللَّه لَا يَغِير مَا بَقُوم حَتَّى يَغِيرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾¹

¹ _ سورة الرعد: الآية 249

المبحث الثاني: التفاعل بين المنهجين وعلاقة التأثير والتأثر

المطلب الأول: موقف ابن باديس من أحداث العالم الإسلامي

لم يقتصر اهتمام ابن باديس على البعد الداخلي بل امتد الى البعد العربي الإسلامي الذي كانت تخيم عليه ضلال التبعية والاستغلال، والفكر الباديبي لم يغفل هذا الواقع المرير "فالآثار الباديبية كانت دوما تؤكد على الإنتماء القومي والإسلامي للجزائر، وكانت تسارع الى العناية بكل قضايا العروبة والإسلام ناهيك عن شعار جمعية العلماء المسلمين (الإسلام ديننا العربية لغتنا والجزائر وطننا)"¹

لقد حاول ابن باديس بروحه الثورية نقل الإصلاح من بلده الى باقي البلدان الأخرى، تجسد ذلك في قوله: "يا معشر علماء الزيتونة انشروا الزيتونة في كل الآفاق ولا تبغو حبيسي المنابر وعرصات المساجد، تدرسون الأصول و القواعد، فانه سيأتي يوم يقضى فيه على الزيتونة وتكونون من القواعد"²

أما فيما يخص موقفه من الكماليين فقد جاءت على نفس النسق الذي يشاطره فيه معظم المصلحين في عصره وعصرنا، رغم اننا نلمس بعض التعاطف مع كمال اتاتورك خاصة في الكلمة التأيينية التي خصّه بها في مجلة الشهاب.

مع ذلك لخصّ جنایات الكماليين في النقاط التالية:

¹ عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند ابن باديس، المرجع نفسه ص307

² نقلا عن مقال الأستاذ قسوم: المرجع نفسه، ص310

القضاء على الرباط الروحي للامة الإسلامية تصفية عائلة الخليفة وطردها الى الغرب وعدم تطبيق احكام الإسلام طرد طلبة الدين وغلق المدارس الإسلامية.

"إن تعاطف الشيخ ابن باديس مع الفكر السياسي العلماني لمصطفى كمال أتاتورك الذي ينظر إليه كقائد ثائر وكمحي لتركيا بل للشرق الإسلامي كله لأنه هزم الانجليز وأعاد لتركيا حريتها واستقلالها. نقرأ هذا الإعجاب لشخصية أتاتورك في الكلمة التأبينية التي كتبها الشيخ ابن باديس"، لم يكن من قبيل الصدفة والإعجاب الشخصي¹ بالعكس من ذلك أن ابن باديس يضع شروطاً لا بد أن تتوفر في الحاكم لقيادة الأمة إذ لا بد لها من اجتماع عدة عوامل أساسية إذ يقول: "لا يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلا من كان عنده من بعد النظر، وصدق الحدس وصائب الفراسة وقوة الإدراك قبل وقوعها، مما يمتاز به عن غيره ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع"² فالآراء والأسلوب الذي عرض به الإمام ابن باديس "في شخصية أتاتورك أثارت جدلاً كبيراً بين تيارات الفكر الإسلامي والوطني، ذلك لأن الأحداث والوثائق والأعمال التي قام بها أتاتورك تظهر بعكس ما قاله ابن باديس فقد وصفه مصطفى

¹ عبد الرزاق قسوم: الفكر السياسي عند بن باديس، مجلة الموافقات، العدد السادس، السنة السادسة، 1997 ص302.

² عبد الكريم بو صفصاف: الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وابن باديس، أطروحة دكتوراه قسنطينة، 1997 ص475، نقلا عن مجلة الموافقات ص303.

صادق الرافي بالدكتاتور الذي لا يقبل أي نقد ولو من أقرب المقربين إليه، وهذه الصفة التي أصبح عليها كمال أتاتورك هي نتيجة حتمية لما قام به اتجاه خصومه من المعارضين بما فيهم " أعضاء الاتحاد والترقي، كما سحق كل الطرق الصوفية فضاعة تعامله مع رجال الفكر الإسلامي النزهاء المخلصين، كما أن نهاية شيخ الإسلام " مصطفى صبري "دعامة ثانية على عدم نزاهة هذا الحكم الجديد¹."

"إن منطلق ابن باديس في موقفه من كمال أتاتورك، تعود حسب اعتقادي إلى موقف ابن باديس من تفسيره الخاص للتضامن الإسلامي ونظريته الخاصة حول السياسة في الإسلام، والتي تطرق إليها من خلال تصوره للحكومة الإسلامية في مقال له تحت عنوان " :الخلافة أم جماعة المسلمين "لقد كانت غاية ابن باديس الكبرى التجديد في معرفة قواعد الحكم الإسلامي بنظرة أكثر² واقعية" لقد كان الإمام " عبد الحميد بن باديس "أمة تجلت في شخص الإمام فتحدث عن آلامها وآمالها وعبر عن مأساة فلسطين ونبه الأمة إلى الخطر الصهيوني المترص بالأقصى وناضل من أجل التضامن الإسلامي ووحدة العرب، ودافع بقلمه عن القضايا العادلة في العالم، ورد على تخرصات المستشرقين وغلاة المستوطنين الاستعماريين المتعصبين،" فهل نستطيع إنصاف هذا الرجل القرآني والمسلم الثائر ونفهم منهجه العلمي في بناء هذه

¹ محمد الأمين بلغيث: مجلة الموافقات مرجع سابق ص424

² _ محمد الأمين بلغيث: مجلة الموافقات، المرجع نفسه، ص427

الأمة، أم علينا أن نسكت سكوت الجبناء ونصم أذاننا حين نسمع نداءه الذي لا زال يزلزل الأرض تحت أقدامنا رغم مرور 75 سنة على وفاته".

يا نشأ أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

المطلب الثاني: موقف النورسي من أحداث العالم الإسلامي.

لقد بذل الإمام النورسي جهود كبيرة للبحث عن حلول للأزمة العربية خاصة بعد سقوط الخلافة، فقد كان نشطا يبذل جهودا فكرية وفعلية في كل قضية تتعلق بالعالم الإسلامي وخاصة بالجغرافيا العثمانية، وتشهد له الخطبة الشامية " التي ألقاها في المسجد الأموي والتي جسّد فيها أمراض الأمة وقدم العلاج الفعلي لها من الصيدلية القرآنية والسنة النبوية، والقضايا التي أثارها في كتاب المناظرات " والرسالة السنوحات "خاصة قضية الإسلام والرعب حيث يرى أن القضية ليست صراعا سياسيا وتاريخيا فقط، بل يراها صراع حضارة شاملة فأجرى مقايسة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية التي تعكس معياره التاريخ السياسي الإسلامي أظهر بديع الزمان النورسي التفوق العقيدي للإسلام والذي وضح باستمرار تفاؤله بالمستقبل قام بوضع نقاط مهمة تتعلق بالضعف العملي للعالم الإسلامي وبالطرق التي تقضي على هذا الضعف، وخلال ذلك اهتم بالتمييز بين تقصير العالم الإسلامي والإسلام نفسه وهذا التمييز يظهر بشكل بارز في قوله.

"وقد شاهدت أيضا، أن الإسلام الذي يشكل المدنية الحقيقية قد تأخر عن المدنية الحاضرة ماديا، فكأن الإسلام قد استاء من سوء أخلاقنا فمضى راجعا إلى الماضي ليشكونا إلى خير القرون¹."

لقد أشار الإمام النورسي إلى حلول لمواجهة أزمات العالم الإسلامي من خلال مبادئ أساسية هي:

- **الثقة بالنفس**: من أجل التجديد النفسي فلا بد من تقوية الثقة بالنفس، إذ يقول "إن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان، لذا فعلينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا"²
- **تمسك الأمة الإسلامية بهويتها**: يقيم الإمام النورسي علاقة مباشرة بين الأمة الإسلامية ووحدتها وعقيدها، ويرى أن العمل في موضوع الأخوة والوحدة الإسلامية، واجب ديني، وهذا يوجب على جميع المسلمين الاتحاد حول هوية واحدة، ويبين الأساس النظري الذي يعني بأن فكر الوحدة في الاتحاد المحمدي الذي هو حقيقة اتحاد الإسلام الوحدة الإسلامية³.
- **إضاءة وإصلاح المؤسسات السياسية**: لقد دافع في البداية عن الفكر لإصلاح

¹ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 445

² النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 462

³ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 498

مؤسسة الخلافة وتوحيد العالم الإسلامي حول مركز واحد، لكن بعدما لاحظ أن الخلافة فقدت آخر نقاط المقاومة، رجع إلى نقطة إنقاذ الإيمان كبداية لإصلاح النفس فهي: تبليغ الحقائق الإيمانية التي يتضمنها القرآن الكريم إلى طلاب الحق والإيمان على أصح وأنزه وجه، إنقاذاً لأنفسنا وإياهم من الإعدام الأبدي وبرزخ السجن الإنفرادي السرمدى.

أما الجمعيات الدنيوية المؤسسة على الدسائس والأحابيل السياسية فلا علاقة لنا بها من قريب أو بعيد بل نترفع عنه¹

ومن أغرب ما قرأنا للإمام النورسي إجابته على سؤال رئيس جامعة الأزهر الشيخ بخيت الذي كان موجوداً في اسطنبول " ما يقول في حق هذه الحرية العثمانية والمدنية والأوربية؟ فأجابه "إن الدولة العثمانية حاملة بدولة أوربية وستلد يوماً ما، وأن أوربا حاملة بالدولة الإسلامية وستلد يوماً ما²."

كما أنه دعا إلى إقامة جامعة الزهراء في شرق الأناضول تدرس فيها العلوم الدينية والعلوم الدنيوية لنشأة جيل عالم مثقف بأمور دينه.

¹ النورسي: صيقل الإسلام، مرجع سابق، ص 498

² النورسي: سيرة ذاتية، مرجع سابق، ص 108

يمكن القول إنها إشارة إلى إيمان قوي وشعور بالثقة بالنفس وقد قال إن أعظم مرض أصاب العالم الإسلامي هو اليأس ولا بد من إقلاعه من أنفسنا حتى تنهض نهضة علمية حضارية

المبحث الثالث: القيمة المضافة (رسائل النور) وأثرها على العالم العربي والغربي

المطلب الأول: أثر رسائل النور في العالم العربي

إن الإمام النورسي يرى أن أسباب تقدم الأمة الإسلامية من موارد تقنية واقتصادية وصناعية يمكن تداركها بالاستعانة بالتطور العلمي والاقتباس من أحدث ما وصلت إليه الحضارة الغربية، وهو الأمر نفسه نجده عند الإمام ابن باديس بحيث دعا طلاب العلم إلى الاقتباس من حضارة الغرب المتطورة لكن الشيء الذي لا يمكن تحصيله من الشرق ولا من الغرب، ولا بكل أموال الدنيا هو الرقي الروحي والعقلي الذي تدعونا إليه العقيدة الإسلامية.

إن رسائل النور هي قيمة مضافة للمنهجين ولها دور كبير في يقظة الأمة الإسلامية وعلى جميع الأصعدة، عقائدياً، علمياً، اجتماعياً، اقتصادياً، سياسياً... الخ فعلى المستوى العقائدي نجد الإمامين قد فصّلا كثيراً في تحديد المؤشرات التي تهتدي بها الأمة للحفاظ على عقيدتها وصيانتها من كل ما يخدش كرامتها على مر الزمان منها: متطلبات إنقاذ الإيمان_ أثر المنهج الاستدلالي في تدعيم العقيدة_ وليس هذا كل ما عالج الإمامان بل هو غيض من فيض ومؤشر لجهد عظيم يستحيل حصره في

هذا المقام ،ومن أعظم متطلبات إنفاذ الإيمان فهم القرآن، لذلك اغترف الإمامان من نبع القرآن ليرشدا الحيارى والضالين فكان التفسير "مجالس التذكير من كلام من الحكيم الخبير" و"إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز" أضافا به مزيدا لرصيد المؤمنين في فهم هذا النبراس العظيم إذ يقول النورسي: "لقد انخدعنا فتركنا جوهر القرآن ولبابه وحصرنا النظر في قشره وظاهره أيها الإخوة المسلمون ،هيا لنعتذر إليه ونطلب رضاه ،فنمد إليه معا -متفقين- يد الصداقة نبايعه ونعتصم بحبله المتين"¹

ويقول كذلك: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله، إذ كانت لهم القوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة، تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة"²

كما أن لرسائل النور دورا في يقظة الأمة علميا من خلال تأكيدها على ضرورة تدعيم العلم بالإيمان وعدم تقليد الغرب بطريقة عمياء فهي منبع يفيض علما وإيمانا وحكمة وحضارة تتناسب مع التحدي الذي تعيشه الأمة الإسلامية، حاليا في تخلفها، بسبب الجهل الذي تفشى بين المسلمين، ببعدهم عن منهج الدين القويم.

"كان النورسي يرى في ماديات العالم المعاصر ساقا ينهض عليها غنسان العصرنة المتوافق مع العقل التجريبي الوضعي، لكن يبقى على هذا الإنسان ليحقق

¹ النورسي: صيقل الإسلام ، مرجع سابق، ص22

² ابن باديس: مجالس التذكير، مرجع سابق

أسباب التوازن ، أن يأخذ بالمكمل الروحي الإيمان، الذي تلقاه عن طريق الرسل"¹ لقد أشارت رسائل النور إلى أن القرآن هو أصل التقدم العلمي فهو بإيراده معجزات الأنبياء مثلا يبين أن كل ما يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات ،يمكن للقرآن تفسيره ،ومن ثمة يحث البشرية على بلوغ هذه الغايات ،ولعل سر تقدم المسلمين الأوائل وتحقيق حضارة إسلامية رائعة ،حيث جمعت بين العلم والإيمان ويفسر تأخر المسلمين في العصور المتأخرة لأنهم وضعوا القرآن وراء ظهورهم ،ولم يقدره حق قدره وانبهروا بحضارة الغرب الزائفة ،هذا إلى جانب ترابط العلم بالإيمان فكل علم عرف بالخالق سبحانه بلغته الخاصة ،فالاهتمام بالبحث العلمي ضرورة عقائدية تفرضها متطلبات العصر ،وحالة التخلف التي تعيشها أمة الإسلام ،وعلى كل مسلم غير أن يزيح هذه العقبة _كل في مجال تخصصه_.

" كان النورسي يرى ان تلك المستحدثات في عالم الصناعة والخدمات هي من الدلائل الملموسة على تجسيد تكريمية الآدمي، إذ هياها الله لان يستثمر ما في الكون ليصنع أسباب سعادة الدارين"²

وفي الجانب الاجتماعي ،لرسائل النور دور كبير في فهم حقيقة التخلف الاجتماعي الذي أصاب الأمة وتقديم البديل ليقظتها وتدارك التخلف ،وذلك من خلال

¹ عشراتي سليمان: النورسي وأثره في الدعوة الى القرآن، مطبعة ميغا، إسطنبول، بدون (ط س).

² _عشراتي سليمان: النورسي ومنهجه في الدعوة الى القرآن، مطبعة ميغا، إسطنبول، بدون (ط س).

إنقاذ الإيمان وأهميته في تنظيم الحياة الاجتماعية، وتفسخ العقيدة هو الضرر الأول المحض عليها فهو يؤدي الى استجابة الإنسان للشيطان ،فالإيمان يفرض التكافل الاجتماعي بين المسلمين في الضراء خاصة،فهو "يفرض العقاب في حالة شيوع المنكر والبغي ،لضعف عقيدة الأمة وتراخيها في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو عماد الأمة الإسلامية وسياجها المتين الذي يحميها من الوقوع في المهالك ويحمي المجتمعات من الخلطة وانفراط الرابطة الاجتماعية"¹

من أجل هذا الغرض كان الهدف الأول عند الإمامين هو إنقاذ الإيمان وتصحيح العقيدة كونه أولى الأولويات ،وقد أعطيا للصحافة دورا هاما في تكوين الرأي العام للأمة ، فقد سارع ابن باديس إلى الكتابة في الصحف لتتوير العقول رغم كل الضغوطات الممارسة عليه وسّع نطاقها، كما سارع النورسي إلى التأكيد على ضرورة التزام الصحفيين بمبادئ العقيدة الإسلامية للنهوض بالمستوى الأخلاقي والعقلي والفكري لأفراد المجتمع ،كما أبرزت رسائل النور دور المرأة في اليقظة الاجتماعية ،من خلال معالجتها لبعض قضايا المرأة التي حاول الغرب إثارة الفتن بها كالزواج والعمل والحجاب ...الخ إذ كان النورسي واضحا كل الوضوح في هذه القضايا وكذلك ركز ابن باديس على ضرورة تعليم المرأة من أجل تنشئة جيل إسلامي قوي وواع.

¹ النورسي: الملاحق، ملحق أمير داغ، م سابق، ص242/243

هذا إلى جانب دور رسائل النور في يقظة الأمة سياسيا من خلال "إرساءها لدعائم الفكر السياسي في الإسلام وهي: العدل، الشورى، المساواة، الحرية، الجهاد، وهي قواعد اتفق حولها الإمامان في منهجهما رغم بعدهما عن السياسة، لكنها سياسة تختلف عن سياسة حب الكراسي والمناصب والجاه، بل هي السياسة التي تعبر عن فكر وحياء السياسة النزيهة القائمة على دعائم الحق كونهما صاحبي مبادئ سامية وأهداف عالية."¹

المطلب الثاني: أثر رسائل النور على العالم الغربي

لقد قدمت رسائل النور أفضل أنموذج للإسلام في الغرب، فقدمت بذلك أفضل الإسلام وتشير الإحصائيات أن اثنان وثلاثون بالمائة ممن أسلموا في الغرب كان السبب في إسلامهم هي رسائل النور، بالإضافة إلى أن أكثر المؤلفات انتشارا في الغرب هي رسائل النور، فرسائل النور هي تفسير معنوي للقرآن - يقوم بإبلاغ الرسالة العالمية للقرآن - لذا فهي تخاطب الإنسانية بأكملها، فقد رسم الإمام النورسي منهجا متميزا في خطابه مع الغرب مستندا في ذلك على أسلوب الإقناع بالبراهين العقلية و العلمية، فبرهن على أن المدنية الحقيقة والرقي الحقيقي للإنسانية لا يوجد إلا في الإسلام.

¹ _ خديجة النبراوي: دور كليات رسائل النور في يقظة الامة، شركة سوزلر، الطبعة الأولى، 1998.

يقول الإمام النورسي: "يا أهل الكتاب إنكم لن تصادفوا أي مشقة عند قبولكم الإسلام، فلا يتقل هذا على أنفسكم ذلك لأنه لا يأمركم أن تتخلوا عن دينكم تخليا تاما بل يقترح عليكم فقط إكمال عقيدتكم وبناء هذه العقيدة على الأسس الدينية الموجودة لديكم فكون القرآن جامعا لكل جمالات الكتب السابقة ولكل القواعد الأساسية للشرائع القديمة، فإنه يعد بذلك مكملا ومعدلا في الأصول، أي يقوم بمهمة التعديل و الإكمال، وهو مؤسس فقط في الفروع التي تتعرض للتبدل و التحول نتيجة تغير الزمان و المكان، ولا يوجد في هذا أي شيء غير معقول وغير منطقي إذ كما أن هناك ضرورة وحاجة لتغير المأكولات و الملابس و الأدوية، حسب تغير وتبدل المواسم الأربعة، وكما يتبدل طراز تعليم الفرد حسب أطوار و مراحل حياته، فكذلك من الحكمة من المصلحة تغير الأحكام الفرعية حسب الأدوار و المراحل التي قطعها عمر البشرية" ¹

لقد حاول الإمام النورسي أن يجعل من القرآن أكبر مرجع في تصحيح عقيدة الغرب وثقافته، كما بين أنه البديل الوحيد للمدنية الغربية. وفي سبيل إثبات هذه الحقائق اعتمد على منهج المقارنة بين الفلسفة الغربية والإسلامية في شرح ماهية ومصدر ونتائج كل منهما، مما يسهل على كل من اصطبغ بصبغة التفكير الغربي، معرفة فكرته بسهولة من هذه المقارنة، ويعرف مكن الخطأ الذي وقع فيه. وهذه

¹ _ النورسي: إشارات الاعجاز في مضان الايجاز، المرجع نفسه، ص56.

الطريقة الواضحة السهلة التي اتبعها النورسي يسرت الطريق لمعرفة الحقيقة والوصول إليها .يقول النورسي:"كما اعتمد في مجالي التأسيس للحقائق الإيمانية القرآنية أو إبطال أقوال الخصوم بغرض تخلية القلب منها وتحليلته بالإيمان" ¹

إن ترجمة رسائل النور من اللغة التركية إلى اللغات الأخرى كالإنجليزية و الفرنسية و الروسية و الألمانية و العربية فتح لها مجالاً للعالمية ،كونها استطاعت تشخيص العلل الروحية النفسية التي تحملها العلمانية والمدنية الغربية وقامت بتقديم الأدوية القرآنية الناجعة لتلك الأمراض و العلل الروحية و المعنوية لهذا العصر، كما أسست للحوار بين الأديان خاصة بين المسيح و الإسلام ،وقد تمت الحقائق القرآنية ضمن لغة علمية حديثة وتظهر هذه المجهودات النورية بجلاء في محاضرة ألقتها الدكتورة" اورسولا سبولر" ² في المؤتمر العالمي الثاني لبديع الزمان النورسي حيث قالت "ونحن المسيحيون نبذل جهوداً كبيرة لفهم المسلمين فهما جيداً إن فهم أحدهما للأخر سيزيل بلا شك قبل كل شيء المخاوف الموجودة عند الطرفين" ³

عمار جيدل: بديع الزمان النورسي واثبات الحقائق الإيمانية ط1 شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع 2001 ص67

² اورسولا سبولر: أستاذة مساعدة بجامعة ماربورك بألمانيا ولدت عام 1939 عكفت على دراسة الأديان.

³ اورخان محمد علي: بديع الزمان النورسي في نظر مفكري الغرب، شركة سوزلر للنشر ط2004: 1 ص37

لقد كتب أحد الرواد الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام الدكتور " كولن تورنرا " ¹ مقالا تحت عنوان " الإيمان أولا " ليجيب عن حقيقة " لا إله إلا الله " أنه لم يفهم حقيقة هذه الجملة إلا بعد التقائه بأحد طلبة النورسي الذي دلّه على فهم حقيقة " لا إله إلا الله " من خلال رسائل النور التي برهنت له على هذه الحقيقة للأدلة العقلية. فتبين له البون الشاسع بين " لا إله إلا الله " قبل قراءة الرسائل و بعد قراءتها ، بحيث يقول : " فقد أصبحت مقتنعا بأنني عندما أقول " لا إله إلا الله " فإنني أكون قد قلت كل ما يجب قوله عن الله تعالى ، لذا فإنني مدين بالشيء الكثير لرسائل النور ... لذا فإنني أستطيع القول بأنني كنت مسلما ولم أكن مؤمنا ... ومع ان النورسي لم يقدم لي الإسلام - وهذا عمل يستطيع أي شخص القيام به - إلا إنه قدم لي الإيمان ... إيمانا من خلال البحث و التمحيص وليس من خلال التقليد ² "

يقول في جانب آخر " : " وهناك ما أريد أن أقوله أيضا للمسلمين من غير طلاب النور : إن كنتم تبحثون عن طريق آمن وسالم يوصلكم إلى الله ، طريق مجرب ومفحوص ، إن كنتم تريدون هذا فاقربوا من رسائل النور بقلب مفتوح ، وذهن مفتوح ، إن فعلتم هذا فلن تخسروا شيئا بل ستكسبون أشياء كثيرة " ³

¹ كولن تورنرا: جامعة دورهام إنجلترا، ولد عام 1955 دخل الإسلام سنة 1975 اختص باللغة العربية والفارسية

² اورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، ط1 شركة سوزلر للنشر 2004 ص37

³ اورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، مرجع سابق ص48

إن رسائل النور تتميز بأسلوبها الناعم و السهل و المقنع عند تقديمها لحقائق الإسلام وتعليمها للغرب وقد أثبتت أن الإسلام هو دين العقل وهو منبع المدنية الحقيقية و رقي الإنسانية وتقدمها وفي هذا المعنى تقول الباحثة و الكاتبة "شكران واحدة": "كما خمن بديع الزمان بأن القرآن سيحكم في المستقبل و أن الغرب سيدخل الإسلام على شكل دول فإن البلاغة ستكون أمضى سلاح في المستقبل أو في آخر الزمن أي قابلية إقناع الآخرين بل الأفكار وهذا مستقبل آت لا ريب فيه بما أننا وهبنا طريقا قيما جدا في نشر رسالة القرآن فنحن نأمل أن يتحقق شرط الأول من توقع بديع الزمان وهو أن القرآن سيحكم في المستقبل إن شاء الله تعالى"¹

¹ شكران واحدة: ماري ويلد مترجمة رسائل النور الى الانجليزية

خاتمة

الخاتمة:

انتهى بنا المطاف بعد هذه الجولة العلمية الهادئة والهادفة بين شخصيتين عظيمتين عظم هدفهما، إلى خلاصة العمل المنجز ، تبين لنا مما عرضناه أننا أمام عملاقين امتزجت في منهجهما أصالة الروح القرآنية المهيمنة على فكريهما وقلبيهما من جهة ومواكبة العصر من أجل الوصول إلى أهداف عملية تطبيقية من جهة أخرى. تبين لنا من خلال هذه الرحلة العلمية مع "ابن باديس والنورسي أننا مع شخصية موحدة صحّ أن يقال فيها" الرجل القرآني "، فقد تميزت شخصيتهما بالغوص في القرآن والسنة النبوية المطهرة مع التركيز على البعد الوظيفي للإسلام.

تميز منهجهما العلمي بمجموعة من الميزات نوجزها فيما يلي:

- _ التأصيل لمسائل العقيدة بما حوته المصادر الإسلامية الأصلية: القرآن والسنة.
- _ رفض البداية الصفرية بل بالعكس، كان المنهج لديهما متأثراً بالخبرة المعرفية الإسلامية.
- _ التركيز على الجانب العملي أكثر من الجانب النظري فكانت كل فكرة لديهما لها بعد وظيفي وكانت النزعة الوظيفية مهيمنة على مجموع أعمالهما.
- _ الإفلات من قبضة القراءة التاريخية للعقيدة الإسلامية وهي قراءة هيمنت لزمن طويل لهذا عدت "مجالس التذكير" و"رسائل النور" عملاً تجديدياً رائعا في العصر الحديث.

_ تناول قضايا الأمة بمنهج علمي دقيق، قريب من الواقع العملي، متأثرين بهموم الأمة مؤثرين في مجتمعهما.

_ الاستعانة بكل الوسائل الدعوية الممكنة فكان المنهج متكاملًا، نظريًا وتطبيقياً فكريًا وسلوكياً.

_ الممارسة التطبيقية الميدانية، وإسقاط النظريات على الواقع، فتجلى منهجها بوضوح في كل مجالات المجتمع: التربوية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية... الخ.

_ الثبات على الأهداف رغم تقلبات العصر.

_ الاختلاف بين المنهجين في بعض النقاط كان اختلاف تواد لا اختلاف تضاد وهو اختلاف ناتج عن الظروف التي كان يعيشها الإمامين فالإصلاح عند ابن باديس كان مباشرًا في الواقع الميداني أما النورسي فقد ركز على الكتابة وأعطى قيمة كبيرة للرسائل لدرجة أنه فضلها على نفسه.

_ العلاقة التكاملية بين المنهجين أثمرت قيمة مضافة، هي رسائل النور، ذات الأثر العجيب في النفوس، فهي جنود مجتدة في سبيل خدمة الدين.

_ صدق تنبؤاتهما في معظم الأحيان، وليس هذا بالأمر الغريب لأنهما كانا يريان بنور الله.

- المنهج العلمي عن الامامين هو منهج متكامل يجمع بين الروح و العقل و القلب و البدن في توافق و تناغم وانسجام يخاطب الفرد روحا و قلبا و عقلا و جسدا باعتدال ، لا يفصل الروح و يقدسها ولا العقل وحده و لا يرفع الجسد فوق مكانته ، يخاطب العالم و المتعلم ، الامي و الشاب ، الشيخ و المرأة ، ينتقي الكلمات و المفردات المناسبة لكل فرد حسب مستواه الفكري و البيئي و الشخصي بالحكمة البالغة و الموعظة الحسنة و الخلق النبيل و الحجة المقنعة ، بكل الاساليب و الوسائل المتاحة و الممكنة بمرحلة حكيمة و راشدة ، هو منج يتسم بالتكامل و الشمول السعة ، كيف لا و هو ينتقي من الأصول الشرعية مصدرا له لأنه نتهج نبوي بالدرجة الأولى .

ختمت رسالتي بتوصيات أوصي بها نفسي و الطلبة الأكاديميين مثلي و كل من يهمله أمر الأمة الإسلامية الغالية وهي :

- العودة إلى المنج الباديبي و النورسي و التعامل معه بصدق و إخلاص و إسقاطه ميدانيا تماما مثلما نجح في عهدهما حتي نعيش تلك اللحظة الفاعلة التي عاشتها الجزائر و تركيا في زمنهما لحظة النصر واليقين بالنجاح و التضحية في سبيله .

- العودة إلى اللغة العربية و إحياءها و الإعتزاز بها و التفوق فيها قبل أي لغة أخرى و لعلها سر الوحدة بين الشعوب .

- تسخير و إستغلال كل الوسائل الممكنة و المتاحة و هي كثيرة في زمن العولمة و

التكنولوجيا وتحويلها في المسار الايجابي الذي يخدم الامة الاسلامية

- تقديس العمل الايجابي و النزول به الى الميدان ان يتزوج العلم بالعمل .

- تكثيف الدراسات الاكاديمية حول الفكر الباديسي كونه مازال مغيبا من الجيل

الجزائري الجيل المغتر بالجيل الباريسي وتكثيف الدراسات الاكاديمية حول طبيعة

ازمات العالم الاسلامي في فكر النورسي و اولويات العمل الاسلامي و اساسيات

مشروع التنمية... الخ من القضايا الهامة التي لا بد ان يتدارسها الاجيال المعاصرة

حتى تخرج الامة من الازمة الفكرية التي نعيشها . واخيرا اتمنى ان تتاح لي فرصة

اخرى لقراءة تفصيلية لفكر الامامين الذي غصت في بحرهما ودخلت جنة فكرهما

ولم أستطع الخروج من كثرة درره وجواهره والماسه فالأمر يحتاج الى سباح ماهر ولا

ادعي ان نفسي ذلك ابدا.

أخيرا لا أدعي أنني وصلت إلى مبتغاي الحقيقي فهما بحر عميق كلما أبحرت

فيه وجدت دررا ثمينة لا يمكن المرور عليها مَرّ الكرام، كيف لا والواحد منهما أمة في

رجل.

رحم الله إمامينا ونفعنا بعلمهما، وجزاهما الله تعالى خير ما جزى العلماء

العاملين والدعاة المصلحين، حتى تظل آثارهما منارة تضيء الطريق للسالكين إلى أن

يرث الله الأرض ومن عليه.

فهرس الآيات القرآنية

- الآية.....ص
- 07 "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"
- 10..... "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"
- 16..... "لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا"
- 40..... "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"
- 41..... "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا"
- 57..... "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"
- 74..... "نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا"
- 86..... "وعلم آدم لأسماء كلها"
- "قل لئن إن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" 86.....
- "بما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضو من حولك" 101
- 103..... "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"
- 104..... "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون"
- 105..... "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون"
- "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات

116....."وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً"

118....."وأمرهم شورى بينهم"

"وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين

129....."إلا خساراً"

131....."إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

فهرس الأعلام والشخصيات.

الصفحة

اسم العلم أو الشخصية

| أ | |
|--|--------------------|
| -47-45-39-40-33-31-18-15-13-08-02 -59-58-56-55-54-53-52-51-50-49-48 -129-127-73-70-69-67-66-63-61-60 .140-134-133-132-131-130 | إبن باديس |
| 39-37 | إبن عربي |
| 36 | إبراهيم التهامي |
| 14-13 | إبراهيم محمد تركي |
| 59-37 | الابراهيمى البشير |
| 108-80-17-2 | أحسان قاسم الصالحي |
| 26 | أحمد أمين |
| 29 | أحمد صالح زكي |
| --90-2 | الأخضر شريط |
| 21 | ألبرت حوراني |
| 32 | أمان محمد صافي |
| 7-6 | أندري لالاند |
| 145 | أورسولا سبولر |
| 146 | أورخان محمد علي |
| ب | |
| 40 | برهان غليون |
| 69-57-44 | بن مزور عمار |
| 134-56 | بوصفصاف عبد الكريم |
| ج | |

| | |
|-------------------------------|---------------------|
| 30 | الجابري على حسين |
| 39-33-32-25-24-23-21-20-19-18 | جمال الدين الافغاني |
| ح | |
| 143 | خديجة البنراوي |
| 89 | حسين عاشور |
| د | |
| 9 | ديكارات |
| 54 | دراجي محمد |
| ر | |
| 71-66-52-50-49-48-46-36-15 | رابح تركي |
| 33-30-29-18 | رشيد رضا |
| ز | |
| 28 | زكي الميلاد |
| س | |
| 141-140-125-8-2 | سليمان عشراتي |
| ش | |
| 146 | شكران واحدة |
| 137 | الشيخ بخيت |
| ط | |
| 24-20 | طيلية محمد القطب |
| ع | |
| -132-129-69-67-133-127-45-03 | عبد الرزاق قسوم |
| 59 | عبد الرحمان شيبان |
| 120 | عبد الرحمان بكير |
| 65-61-38 | عبد القادر فضيل |

| | |
|-------------------------|------------------------|
| 72-45 | عبد الله شريط |
| 27 | عبد الله العروي |
| 115-93-86 | عماد الدين خليل |
| 144-125 | عمار جبيل |
| 61-56-37-31-03 | عمار الطالي |
| 26 | عاطف العراقي |
| 65 | عواريب خطر |
| ف | |
| 119 | فتح الله كولن |
| 72 | فرحات عباس |
| 71 | الفضيل الورتلاني |
| ك | |
| 40 | الكواكبي |
| 145 | كولن تورنرا |
| ل | |
| 98 | ليث سعود جاسم |
| م | |
| 114 | محمد افرنجي |
| 134 | محمد الأمين |
| 23 | محمد باشا المخزومي |
| 75 | محمد بن اسماعيل المقدم |
| 44 | محمد خير الدين |
| 65-38 | محمد الصالح رمضان |
| 47 | محمد صالح الصديق |
| 64-33-32-28-27-26-25-18 | محمد عبده |

| | |
|--|----------------------|
| 64-26-22 | محمد عمارة |
| 46-45 | محمد الملي |
| 89 | محمد رشدي عبيد |
| 109 | محمد الروكي |
| 58 | محمد زرمان |
| 55 | مفدي زكرياء |
| 31 | محمد مقبل فهمي توفيق |
| 9 | محمد مدوب محمد صالح |
| 42 | محمد عيسى |
| 60 | محمد الهادي الحسني |
| 94 | الماحي أحمد الشفيعه |
| 24-22-19 | مجدي عبد الحافظ |
| 134 | مصطفى صبري |
| ن | |
| 12-10 | نجيب الحصادي |
| -34-33-32-31-18-17-16-15-13-08-03 -90-89-87-86-85-84-83-82-80-79-78 -101-100-99-98-97-96-95-94-93-92-91 -109-108-107-106-105-104-103-102 -117-116-115-114-113-112-111-110 -129-1258-126-122-121-120-119-118 -143-142-141-140-137-136-135-130 .146-144 | النورسي |
| ي | |
| 54 | ياسين توفيق خلق |

بالفرنسية

| | |
|-----------|----|
| DALIN | 10 |
| Des carts | 9 |
| Gaud | 10 |
| Rommel | 10 |

قائمة المصادر حول ابن باديس

-القرآن الكريم.

1_ ابن باديس، عبد الحميد: أصول الهداية، دار الهداية، الإمارات العربية المتحدة، ط 1992.

2- ابن باديس، عبد الحميد: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، دار البعث، قسنطينة، ط 1982.

3- ابن باديس، عبد الحميد: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، للإمام المصلح عبد الحميد ابن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية الطبعة الأولى، 1402 هـ / 1982 م دار البعث قسنطينة، الجزائر.

4- ابن باديس، عبد الحميد: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، للإمام المصلح عبد الحميد ابن باديس، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الطبعة الاولى، 1403 هـ / 1983 م دار البعث قسنطينة، الجزائر.

5- ابن باديس، عبد الحميد: آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، 1984/1406 م دار البعث، قسنطينة الجزائر.

6- ابن باديس، عبد الحميد: آثار الامام عبد الحميد ابن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، 1985/1406، دار البعث، قسنطينة الجزائر.

7_ ابن باديس، عبد الحميد: الشهاب، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر، ج1
مجلد 9 1342 هـ. 6.

8_ ابن باديس، عبد الحميد: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مكتبة الشركة الجزائرية، مراقبة وبوداود وشركاؤهما، بدون تاريخ.

المصادر حول النورسي:

1_ كليات رسائل النور: الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للطباعة، القاهرة، مصر ط3 2000.

2- كليات رسائل النور: المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة، القاهرة، ط2 1992.

3- كليات رسائل النور: اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة، القاهرة، ط3 2000.

4- كليات رسائل النور: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة وللنشر، ط1 سنة 1993.

5_ كليات رسائل النور: إشارات الإعجاز في مضان الإيجاز، ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار النصر للطباعة، مصر، ط3 1999.

6 - كليات رسائل النور: المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة، دار سوزلر للنشر، إسطنبول، ط4 1999.

7_ كليات رسائل النور: الملاحق في فقه دعوة النور: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة النسل للطباعة، دار سوزلر إسطنبول، ط4 1995.

8_ كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة النسل للطباعة دار سوزلر للنشر، إسطنبول ط1 1995.

9_ كليات رسائل النور: سيرة ذاتية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، دار سوزلر للنشر اسطنبول، ط1 1998.

المعاجم:

1- التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع،

المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1963 ج1.

2- الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار

الكتاب العربي، بيروت، ط1 1405 هـ ج1.

3- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق محمود

خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1995.

4- ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صادر، بيروت ط1 ج1.

5- لا لاند اندريه: موسوعة لا لاند الفلسفية، منشورات عبيدات، بيروت، ط2 2001.

6- مذكور إبراهيم: معجم الفلسفة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د ط 2007.

7- إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة.

قائمة المراجع حول ابن باديس

1- ابن عاشور، الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، ج4 ط1 تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.

2- الإبراهيمي، البشير: عيون البصائر، ج2 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

3- ابراهيم محمد تركي: دراسات في مناهج البحث العلمي، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2006.

4- أمين، أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3 القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1971.

- 5- أمان محمد الصافي: تأثير فكر الافغاني في فلسفة اقبال، القاهرة ط الأولى، 1995.
- 6- بلغيث محمد الأمين: تاريخ الجزائر المعاصر، دراسات ووثائق ط1 الجزائر، دار البلاغ، للنشر والتوزيع، 2001.
- 7- بن مزور، عمار: نافذة على فن الخطابة، تيزي وزو، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- 8- بن نبي، مالك: شروط النهضة، ط3 بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
- 9- بن خليف، مالك: الفكر السياسي عند العلامة عبد لحמיד ابن باديس، دار طليله، الطبعة الأولى، 2010الجزائر.
- 10- بو صفصاف، عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، 1946/1931 ط1 قسنطينة، دار البعث، 1981.
- 11- بو صفصاف، عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس، دار ميداد يوني فارستي، ط1 ج1 2009.
- 12- تركي، رابح: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 13- تركي، رابح: الشيخ عبد الحميد ابن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع، الجزائر 1940/1900 ط2.

14- جمعية العلماء المسلمين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها

العام بنادي الترقى بالجزائر، الجزائر، دار الكتب، بدون تاريخ.

15- حسنة عمر عبيد: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عين مليلة، الجزائر،

دار الهدى، بدون تاريخ.

16- الحسني محمد الهادي: المغرب العربي الكبير، دار المعارف عالم الفكر،

الجزائر، ط 1 2004 ص 64.

17- حوراني، ألبرت: الفكر العربي في عصر النهضة، دار النهار، لبنان، بدون (ط

س).

18- جيدل، عمار: إثبات الحقائق الايمانية، شركة النسل للطبع والنشر والتوزيع،

الطبعة الأولى، 2001.

19- الجابري، علي حسين: فلسفة التاريخ والحضارة في الفكر العربي، دار الكتاب

الثقافي، الأردن، (د ط) 2005.

20- الخرباوي، ماجد: قضايا إسلامية معاصرة، وأشكاليات التجديد، دار الهادي، (د

ط) 2000.

21- سلوادي، حسن عبد الرحمن: عبد الحميد ابن باديس مفسرا، المؤسسة الوطنية

للكتاب، 1984.

- 22- الصديق محمد الصالح: الإمام عبد الحميد ابن باديس، من آراءه ومواقفه، ط 1
الجزائر، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
- 23- صلاح، زكي احمد: أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، مركز الحضارة
العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001.
- 24- عبد الرحمن شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين، دار المعرفة، الجزائر،
بد ن (ط س).
- 25- عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان: إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس،
شركة دار الأمل للطباعة والنشر والترجمة والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 1998.
- 26- عبد الله شريط: مع الفكر السياسي الحديث والمجهود الأيديولوجي في الجزائر،
المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 27- عبده، محمد: الاعمال الكاملة، جمع وتحقيق وتقديم د عمارة محمد، بيروت،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1974.
- 28- عمارة، محمد: جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام، دار
الشرق، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988.
- 29- العراقي، عاطف: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، قضايا ومذاهب
وشخصيات، دار قباء، القاهرة، (د ط) 1998.

- 30- العروي، عبد الله: مفهوم العقل، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثالثة، 2001.
- 31- الطالب، عمار: عبد الحميد ابن باديس، حياته وآثاره، الطبعة الثانية، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997.
- 32- طباية، القطب محمد: رواد الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.
- 33- طهاري محمد: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، ط2 الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1992.
- 34- طهاري محمد: الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر، ط1 الجزائر، شركة دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 1999.
- 35- مجدي عبد الحافظ: جمال الدين الافغاني واشكاليات العصر، المطابع الاميرية، بدون طبعة، 1996.
- 36- مجدوب محمد الصالح: أصول المنهج العلمي في القرآن الكريم، دراسة في فلسفة العلوم، الطبعة الأولى، 2007.
- 37- المخزومي محمد باشا: خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني، الاهلية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2003.

38- مقل محمد، وفهمي التوفيق: عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د (ط س).

39- الميلاد، زكي: من التراث إلى الاجتهاد في الفكر الإسلامي وقضايا الإصلاح والتجديد، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2004.

40- نجيب الحصادي: نهج المنهج، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1994.

41- الندوي، أبو الحسن: ترشيد الصحوة الإسلامية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.

مراجع النورسي حول النورسي

1_ الأخطر شريط: أفكار من النور، في الحضارة... في العدل الإلهي.. في الأخلاق، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011

1- إبراهيم أبو ربيع: الإسلام على مفترق الطرق: رحلة في حياة وفكر النورسي، شركة سوزلر للنشر الطبعة الأولى، القاهرة مصر، 2005.

2- أورخان محمد علي: سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة، شركة سوزلر للنشر القاهرة مصر 2004.

3- أورخان محمد علي: سعيد النورسي في نظر مفكري الغرب، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى القاهرة، مصر، 2004

- 4- جيدل عمار: الرجل والإعصار، سيرة ذاتية لبديع الزمان النورسي، دار الكلمات للنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2004.
- 5- جيدل عمار: اثبات الحقائق الايمانية (المنهج والتطبيق) شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2001 اسطنبول
- 6- خليل عماد الدين: رؤية جمالية في الكلمات، دار سوزلر للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر 2011.
- 7- السايح، احمد عبد الرحيم: قضايا معاصرة في فكر بديع الزمان النورسي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى القاهرة مصر 2005.
- 8- شكران واحدة: الإسلام في تركيا الحديثة، تر محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر بدون ط القاهرة مصر 2007.
- 9- عبد الحليم عويس: رجل الإيمان والتجديد في وجه العلمانية والتقليد، بديع الزمان النورسي، شركة سوزلر للنشر الطبعة الأولى القاهرة مصر 2003.
- 10- عشراتي سليمان: النورسي، منهجه في الدعوة إلى القرآن، مطبعة ميكا، إسطنبول بدون (ط س).
- 11- عشراتي سليمان: المعنى القرآني، في رسائل النور، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الاولى، 2009.

12- عشراتي سليمان: جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى 2005.

13- الطنطاوي، عبد الله محمود: منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1997.

14- ليث سعود جاسم: الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى القاهرة، مصر، 2004.

15- محسن عبد الحميد: من معالم التجديد عند النورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 2002.

16- الماحي أحمد الشفيق: معالم إيمانية أو البعد العقدي في فكر النورسي، شركة سوزلر للنشر، الطبعة الأولى القاهرة، مصر، 2003.

_ النبراوي خديجة: دور رسائل النور في يقظة الأمة، شركة سوزلر، الطبعة الأولى، 1998.

الدوريات والمجلات:

1- مجلة الموافقات : المعهد العالي لأصول الدين، العدد السادس، السنة السادسة، 1997.

2- وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية: محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس حول الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

3- جريدة البصائر: جمعية العلماء المسلمين، أعداد متفرقة.

4- مجلة النور: للدراسات الفكرية والحضارية، دار سوزلر اسطنبول، العدد

الرابع(2011) والسادس(2012) والعاشر(2014) الحادي عشر(2015).

المقابلات:

1- إحسان قاسم الصالحي: مترجم رسائل النور، في الندوة العالمية السابعة

للأكاديميين الشباب، 2015.

2- افرنجي محمد: من طلبة النور، عايش فترة الإمام النورسي، في الندوة العالمية

السابعة للأكاديميين الشباب 2015.

3- جيلد، عمار: رئيس تحرير مجلة النور، في الندوة العالمية السابعة للأكاديميين

الشباب 2015.

4- عشراتي، سليمان: في الندوة العالمية للأكاديميين الشباب 2015.

5- عمار الطالبلي: في المؤتمر المنعقد حول الشيخين عبد الحميد ابن باديس

والبشير الابراهيمي 2015

6- قسوم، عبد الرزاق: في المؤتمر المنعقد حول الشيخين عبد الحميد ابن باديس

والبشير الابراهيمي، 2015.

الفهرس:

| | |
|---------|---|
| 01..... | مقدمة: |
| 04..... | الفصل الأول: المنهج العلمي: المفهوم والخصائص |
| 05..... | المبحث الأول: مفهوم المنهج العلمي |
| 05..... | المطلب الأول: مفهوم المنهج |
| 09..... | المطلب الثاني: مفهوم المنهج العلمي |
| 15..... | المطلب الثالث: مفهوم المنهج عند ابن باديس والنورسي |
| 18..... | المبحث الثاني: جذور فكرة المنهج بين ابن باديس والنورسي |
| 18..... | المطلب الأول: فكرة المنهج عند الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا |
| 31..... | المطلب الثاني: أثر هذه الروافد على المنهج الباديسي والنورسي |
| 33..... | الفصل الثاني: المنهج العلمي في فكر ابن باديس |
| 35..... | المبحث الأول: المنهج الباديسي في جانبه النظري |
| 35..... | المطلب الأول: أصول منهجه |
| 40..... | المطلب الثاني: خصائص منهجه |
| 49..... | المطلب الثالث: ابعاد منهجه |

| | |
|----------|--|
| 57..... | المبحث الثاني: المنهج الباديسي في جانبه التطبيقي |
| 57..... | المطلب الأول: أساليب منهجه |
| 61..... | المطلب الثاني: وسائل منهجه |
| 70..... | المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة مع أهداف المنهج العلمي |
| 70..... | المطلب الأول: الإنجازات المحققة |
| 73..... | المطلب الثاني: إمكانية الاستفادة منها في الواقع المعاصر |
| 77..... | الفصل الثالث: المنهج العلمي في فكر النورسي |
| 78..... | المبحث الأول: المنهج النوري في جانبه النظري |
| 78..... | المطلب الأول: أصول منهجه |
| 85..... | المطلب الثاني: خصائص منهجه |
| 93..... | المطلب الثالث: أبعاد منهجه |
| 101..... | المبحث الثاني: المنهج النوري في جانبه التطبيقي |
| 101..... | المطلب الأول: أساليب منهجه |
| 108..... | المطلب الثاني: وسائل منهجه |
| 114..... | المبحث الثالث: الإنجازات المحققة مقارنة مع أهداف المنهج العلمي |
| 114..... | المطلب الأول: الإنجازات المحققة |
| 121..... | المطلب الثاني: إمكانية الاستفادة منها في الواقع المعاصر |

| | |
|----------|--|
| 124..... | الفصل الرابع: الموازنة بين المنهجين |
| 125..... | المبحث الأول: أوجه التشابه..... |
| 125..... | المطلب الأول: من حيث المنهج..... |
| 128..... | المطلب الثاني: من حيث المضمون..... |
| 129..... | المطلب الثالث: من حيث الأهداف..... |
| 132..... | المبحث الثاني: علاقة التأثير والتأثر بينهما..... |
| 132..... | المطلب الأول: موقف ابن باديس من أحداث العالم الإسلامي..... |
| 135..... | المطلب الثاني: موقف النورسي من أحداث العالم الإسلامي..... |
| 139..... | المبحث الثالث: القيمة المضافة (رسائل النور)..... |
| 139..... | المطلب الأول: أثر رسائل النور على العالم العربي..... |
| 143..... | المطلب الثاني: أثر رسائل النور على العالم الغربي..... |
| 147..... | الخاتمة..... |

فهرس الاعلام

فهرس المواضيع

قائمة المصادر والمراجع